

إيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٤ شهر رمضان وشوال سنة ١٣٦٣

هل وفت العربية بغرضها

إذا تدبرنا الفاظ الكتاب والسنة وألفاظ الشعراء والخطباء وأمعنا النظر في بنية الكلام العربي منظومه ومنثوره ، منذ كانت اللغة العربية لغة شعر وخطب إلى أن غدت لغة شريعة وأدب إلى أن درجت لسان علم وسياسة ، ثم نظرنا فيما أبانت عنه هذه الألفاظ وما تركب منها من اغراض ساذجة او مركبة – إذا تدبرنا كل هذا يعرض لنا سؤال يستلزم جواباً ، وهو هل وفت العربية بما نيّي به لغة عظيمة خلال هذه القرون الطويلة ، ام عصت على القيام بالغرض المطلوب لما تم لها عهد الجاهلية ويقدر بمئة وخمسين سنة ، وقد خرجت من جزيرة العرب إلى الأقطار التي رحبت بالاسلام .

وعرفنا من سير هذه اللغة وسيرتها أنها كانت في جاهليتها وعالميتها سواء ، تؤدي المقاصد وتوفي على الغاية ، كانت كذلك وهي بمعزل عن العالم وكذلك صارت لما عرضت لها معان اقتضتها وضعَ الفاظ ومدلولات واصطدمت يوم امتزجت بالاجانب ومرت إليها لوثات اغلاطهم وأساليبهم ولهجاتهم كما مرت اليها طرق تفكيرهم واللهج بأساليبهم بالجدل والمناقشة .

العربية ما خارت قواها يوم أُريدت على نقل علوم اليونان والفرس وغيرهم ، بل زادت قوة عندما ضمت الى متنها كلمات وكلاماً ما عرفها أبداً ابن الجاهلية ولا ابن الصدر الأول ، تبنت كل ما دخل عليها وما انكرته فعاد كأنه أصيل فيها غير دخيل عليها . وطريقتها أن تشتق من أصلها ما استطاعت اشتقاقه فتضع له لفظاً يقارب ما تقصد إليه من معنى ، وما لم تجد له في بحرها الطامي مقابلاً من الالفاظ تنحته او تشذبه حتى تقربه من ذوقها ، فاذا أعجزها كل أولئك اقتبست اللفظ كله

وان خالفت بعض حروفه حروفها ، وبعد باسلوبه قليلاً من أسلوبها . وهذا من بعض الأدلة على أنها مستعدة للتجدد غير جامدة ولا راكدة .

مضت اللغة على هذا النحو تقوى بانتشار العلم وتضعف بضعف اهلها ، والضعف ينالها من زهد أبنائها في العلوم والتجانف عن دراسة الآداب دراسة تبحر . ولقد كاد يذهب من يشخص أعراض أمراضها زمان التراجع إلى أنها من اللغات الميتة المحكوم عليها بالانقراض فلا تلبث أن تكذب ظنون أعدائها وتعود فتهب هبة جديدة ملؤها صحة ونشاط . ويرجع الفضل في ابلالها من اعتلالها أبداً لاحتفاظها بكتابها الكريم ثم لاستمساكها بآثار المجودين من بلغاء السلف .

قضت هذه اللغة في الاسلام نحو نصف حياتها في استعمال الاسجاع والجناسات فأوشكت أن تضيع رشاقتها بهذه البدعة في نسج كلامها ، وما زالت تهوي فتفسد ملكتها وتخرج عن طبيعتها حتى قيض لها آخر القرن الماضي من نشلها من سقطتها وعاد بها سيرتها الأولى من ترك التكلف والرجوع إلى الطبع . ورحنا نشهد كتابتها أشبه بكتابة القرن الرابع ، ونرى شعراءها ينحون مناحي شعراء الحضارة في العصر العباسي الأول والثاني ، ومن قرأ مقالة مما تنشره الصحف والمجلات او فصلاً من تأليف حديث صدر من قلم رجل درس العربية دراسة نظامية أو قصيدة من قصائد المعاصرين يدرك بأدنى تأمل كيف أخذ الكتاب والشعراء يحسنون رصف الكلام البليغ ويقدّرون الألفاظ بقدر المعاني ، وكانوا إلى عهد قريب يصفون الألفاظ صفاً لا ينم عن ذوق ويكثرون من المترادفات ليتألف معهم السجع والازدواج وتستقيم القافية والوزن . أي ان اللغة آضت في النصف الثاني من القرن الأخير ورأس مالها الفاظ لا يعرف مالكوها كيف يتصرفون فيها . والألفاظ مهما تنوّق في اختيارها لا تبرز في قالب مقبول الا بجودة التركيب ، فالبلاغة في التركيب والفصاحة في تخير الألفاظ . ومهما حاول الكاتب احسان القوالب لا يكون الا إلى التفاهة إذا كان المعنى في ذاته مبتذلاً مطروقاً . والمعاني كما قال العارفون صوغ العقل واللفظ صوغ اللسان .

وحاول في هذا العصر بعض المتحذلقين الذين لم يعنوا بدرس أدب هذه اللغة ان (يفرنجوا) ألفاظها وتراكيبها، فعمدوا الى استعمال كل ساقط من اللفظ والتراكيب يعبرون عن أفكار لا تستسيغها أذواقنا، يريدون بهذه البدعة ان يستروا نقصهم بدعواهم أن كتابتهم عصرية وشعرهم عصري وانهم يحببون اللغة الى أهلها بهذا الأسلوب الذي ادعوا له الرشاقة وما هو الا السماجة بعينها، وكيف لعمري تصح دعواهم وهم ما درسوا الأدب العربي ولا الأدب الافرنجي يملون مالا محصل له ويضيفون جملاً لو سألتهم تفسيرها لعجزوا وجمجموا.

حاولت غير مرة أن انفذ الى روح هذا الأدب العصري الذي حمله إلينا المفسدون فلا وربك ما تفهمته، ولا تذوقته، ورجعت بعد العناء وبيدي شعر غث بارد تجرد عن الشاعرية وخرج احياناً عن الأوزان العربية، لا موضوع له ولا مغزى، وانقلبت بنثر لا ماء له ولا رواء خال من كل جزالة معقد غامض لا يصدر مثله الا عمن يهذي. هذا أدب هؤلاء القوم الذي صدعوا به الرؤوس وعتبوا على دهرهم أن كان المقبلون عليه أقل من القليل. ولقد قرأنا أدب الافرنج فأعجبنا به واستفدنا منه وقرأنا طائفة من أدب الأمم الأخرى منقولاً الى لغة الافرنج فهدينا به الى اشياء كثيرة اما هذا الأدب العصري فعصرناه عصراً متيناً فما رأينا له بلة ولا طلاوة، وحرنا وقد ازعجتنا دعوى ادعيائه وصلفهم في أي رف ندحسه وفي اي كوة ندسه.

انهم يحاولون ان يأتونا بلغة يبتدعونها على هواهم ويرغموننا على ان نشايعهم بأنها لغة عربية، والفصحى يخالف روحها ذلك ويأباه، العربية ترذل من يعقها ويزعم انه بارٌ بها، العربية خلقت كما قال العلامة رنان كاملة من اول نشأتها خلافاً لأكثر اللغات التي كان للايام يد في تكملها، تكيفها حاجة الناطقين بها ويعمل الزمن في تنميتها. وقد جرت لغتنا منذ عرفت على نظام واحد وجاءت تامة بصيغها ومبانيها تتجدد بالمعاني التي تدخل عليها والألفاظ التي تستدعيها تلك المعاني.

ولقد رأينا ادب العرب في الأندلس والغرب كأدبهم في فارس والشرق لا تفاوت

بينهما في القواعد والروابط والألفاظ والتراكيب اللهم الا ان كانت هناك مسحة اتت من بعض صور المعاني المنبعثة من علم المؤلف او الكاتب او الشاعر ومصطلحات اقليمه وعادات اهله . وهذا لأن المصادر التي يستقي منها اهل الخافقين واحدة وما حدثت نفس احد ابناء اللغة ان يخرج عنها قيد انملة وان يخرق اجماع العارفين الذي تسلسل اكثر من خمسة عشر قرناً . ولو لم تصب العربية بمصيبة التكلف والاسجاع لكانت صور الأداء في القرون التي سبقت الاسلام كصورها في القرون التالية إلى يوم الناس هذا . كانت الألفاظ إذا لوحظ فيها الابتذال في بعض العصور بضعف ملكة الأدب يقوم أناس يرجعونها الى محجتها المرسومة ويحيون من معالمها ما تعود به اشد رصانة ويبعثون من شواردها وفصحها ما اماته الجهل وقلة العناية .

نعم كانت اللغة إذا مرضت حيناً من الزمن لا تلبث ان تبرأ بظهور أساة من البلغاء يكشفون أسرار فقهها ويقومون منآد الألسن والاقلام ويتوفرون على « التوسع في علم اللغة خاصة » لتكثير الألفاظ عند « من يطلب الترسل وقرض الشعر وعمل الخطب » « وليعرف العلوي من الكلام فيستعمله والعامي فيتقيه ويجتنبه »

وجاء عصر منع الفقهاء في بعض الأقطار العربية قراءة التفسير زاعمين ان بقراءة تفسير القرآن يموت السلطان وما يموت في الواقع إلا الجهل ، وما حاول العابثون بذلك الا ابقاء الناس في عماية والتزلف من السلاطين . ويستحيل على من لم يحفظ القرآن ويتدبر معانيه وينظر في أحكامه ان يحرز منزلة في البلاغة وعلوم الشرع ، وهذه العلوم لا يتقنها من ليس له حظ من الكلام العربي وهل القرآن الا كتاب ادب العرب كما هو كتاب شريعتهم ؟ وفرق بين فقه يدونه فقيه يكون على شيء من تذوق البيان ، وفقه يكتبه فقيه ليس من البلاغة على عِرق ، وهكذا الحال في سائر العلوم . ولو كتبت جميع علوم الاسلام بلغة بليغة ما استلزم تحصيلها الأعوام الطويلة .

وما خلد ما كتبه نصارى العرب وغيرهم من ارباب النحل الذين ظهروا في عصر الاسلام الذهبي اي في القرن الثالث والرابع من الهجرة الا لأنهم كانوا يدرسون

القرآن على انه المصدر الأول في إحكام اللغة العربية ، ولا نمثل إلا بأبي اسحق الصابي وحنين بن اسحق ويحيي بن عدي ممن كتبوا تآليفهم مؤمنين ببلاغة القرآن وان لم يؤمنوا به ايمان المؤمنين من اهله .

وبعد ان دخل الفساد على اللغة اواخر القرن الأول للاختلاط بالأعاجم غدا اهل اللسان يتعلمون لسانهم في الكتب ويتخرجون بجها بذة اساتذته تخرجاً لمنابذة العامية والابقاء على الفصحى . ومن قعدت به الهمة عن اختيار الجيد من المفردات والجيد من المركبات فهو العي كل العي ، وان قضى اعواماً في درس الصرف والنحو والبيان والبديع .

ما اللغة الا مفردات وقوالب لا دساتير وتعليلات ، وكم من حافظ للقواعد عاجز عن البيان العجز كله ، وما نخال الجاحظ وابن المقفع حفظا من مطولات النحوما حفظه بعض علماء النحو وما كان الأحمد ان احمد بن يوسف الكاتب واحمد بن يوسف المعروف بابن الداية كابن المعتز والعسكري في معرفة الجناس وزخارف البديع ، وثقوا ان ابا تمام والبحتري والمتنبي ما عرفوا علم العروض كما عرفه اقل العروضيين ، وان القاضي علي بن عبد العزيز وتلميذه عبد القاهر الجرجاني ابدعا ببيانهما مالم يبدع بعضه من وضعوا قواعد هذا الفن . ولو حصر اهل البلاغة قرائحهم في الحدود الضيقة التي حددها البيانيون لما ارضوا أنفسهم ولا ارضوا الأدب ، ولرجع هذا اللسان القهقرى فأجدب بعد الخصب ، وشحب بعد النضرة . لا جرم ان اللغة كانت تضعف اذا ظن الأمناء عليها ان حفظ القواعد وحدها مما يقيها عوارض الانحلال

كانت اللغة وافية بحاجة أهلها إذا كان المنتدبون لتغذية عقول بنيها على جانب من المحافظة على الرسم الذي وضعه البلغاء يجهدون جهدهم في تنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني ، مراعين حالة جسمها وروحها ، وجسمها الفاظها وروحها معانيها . واذا كان معظم اللغات الأوربية يشتق من اللاتينية واليونانية ما يعوزه من الألفاظ الجديدة فان العربية تستقي من مادتها الثرة التي لا يكاد ينضب معينها على الدهر .

والى هذا ما كانت العربية لغة بداوة حتى يوم كانت لا تعرف غير الجزيرة

موطنا ، بل خصت على اختلاف الأزمان بدقة التصوير ووجازة التعبير فبرزت لغة حضارة تقبل اصناف المعاني بقدر ما يتسع له صدرها وتشتد اليه حاجتها . ولو كانت العربية لغة بادية جافية جاسية ماوقفنا في المعلقات السبع وغيرها من الشعر الجاهلي على اخيلة عجيبة ، وحكم بارعة ، ومعان لاتصدر الا عن مجتمع يتسامى ببلاغته ويزهى بأدبه . وفي معلقة زهير بن ابي سُلمى مثال ظاهر يؤيد هذه الدعوى وهل يتأتى ان يقول مثل هذا الشعر الا رجل شاهد ما شاهد فوصف ما وقعت عينه عليه ؟

وهذا ما يحدونا على ان نؤكد انه لاعيب في اللغة بل العيب في الدارسين لتخلفهم عن اعطائها استحقاقها من التعهد كما يبذل طلاب اللغات الاجنبية جهداً فائقاً لاتقانها . ورأينا في القديم أهل فارس وخوارزم يبرزون في تمثل آداب العرب حتى كادوا يبذون اصحاب هذا اللسان أنفسهم ، وجاء منهم بلغاء عزّ نظيرهم في العرب الاقحاح . وأتى الترك بعد الفرس فكانوا عنهم جدّ مقصرين ، يصرف مشايخهم اعمارهم في دراسة العربية ولا يفصحون بها . وما عرفنا منهم على طول أيامهم وهي ستمائة سنة كاتباً جزلاً ولا شاعراً فحلاً بلغة العرب ، على حين يعد بلغاء الأعاجم بالمئات ، والسبب في هذا النقص فساد طريقة التعليم عندهم على ما نظن .

وا كثر ما خلفه الترك من آثارهم بالعربية يدور على التفسير والفقه والكلام والتاريخ والنحو والصرف والبيان وبعضه لا يخلو من العجمة ويوشك ألا يتفهمه الناظر فيه إلا بعناء وجهد . وكل من طالت عشرته لكتبهم يدخل الضيم على بيانه العربي ولو كان عربياً بحتاً . نعم كان معظم من تعلموا العربية من قدماء الأتراك لا يحسنون النطق بها ولا يقوون على سبك جملة مقبولة خلافاً للأعاجم من علماء المشرقيات اليوم فان في وسع المتوسط من المستعربين منهم ان يكتب جملة مفهومة وينطق بها على وجه الصحة وربما كان في فهم النصوص بمكان لا يقل عن ابناء عدنان وقحطان .

ولقد رأينا الهنود والأفغانيين يتقنون العربية ويكتبونها برشاقة تكاد توازي رشاقة البلغاء من ابنائها الخلص ويعترفون ضمناً ان اللغة الأوردية والأفغانية ولغة الملايو لا تتسع لما يتسع له صدر العربية ، ولذلك كانوا يعتمدون على اللسان

العربي في التأليف ، وندر في الفرس من كتبوا تآليفهم بالفارسية وكانوا يفاخرون بوضع تآليفهم بالعربية ، ولولا أن رنت في العالم نغمة القوميات في القرن الماضي فحاول اهل كل جنس ان ينشروا لسان بلدهم عادين ذلك من الوطنية ، لرأيت الفرس والهنود والأفغان والأتراك والجاويين والصينيين وغيرهم يكتبون الى اليوم تآليفهم بالعربية خصوصاً وبعض لغات الأعاجم ليست من الألسن المكتوبة كالطاغستانية والجركسية والسودانية والكردية والبربرية ويحاول دعاة قوميتها مع هذا أن يضعوا لها الآن معاجم وقواعد لتصبح لغة مكتوبة كما هي لغة محكية [1]

ومنذ القرن الرابع قال ابو هلال العسكري ولا نعرف اليوم علماً جاهلياً ولا اسلامياً الا وأهله عربيون ومتعربون يكتبون باللفظ العربي والخط العربي . وقال ابو الريحان البيروني : والهجو بالعربية احب اليّ من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به اذ لا تصلح هذه اللغة (اي الفارسية) الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . وقال في مناسبة أخرى : والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدادت وحلت في الأفئدة وسرت محاسن اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

روى حمزة الأصفهاني في التنبيه على حدوث التصحيف عن علماء الآزادمردية اي الأحرار انهم ألفوا جميع لغات الأمم في الكمية على ما كانوا ناطقين بها وعلى الجبلة في بدء التكوين لا تتولد فيها الزيادات وانهم وجدوا العربية على الضد من سائر لغات الامم لما يتولد فيها مرة بعد اخرى وان المولد لها قرائح الشعراء الذين هم أمراء الكلام بالضرورات التي تمر بهم في المضايق التي يدفعون إليها عند حصر المعاني الكبيرة في بيوت ضيقة المساحة . فان كان هؤلاء الأحرار يقصدون بقولهم هذا غمز اللغة العربية من طرف خفي ويعدون من ضعفها ان يضع لها الشعراء الفاظاً

---

(١) راجع في كتابي « الاسلام والحضارة العربية » الفصل الذي عقدته لذكر مواطن العربية واثرها في اللغات الشرقية والعربية

جديدة فهو عند العارفين كمال لها ، ذلك لأن التوليد والاشتقاق والتعريب في اللغة دليل حياتها لا موتها وقوتها لا ضعفها .

والغالب ان احرار فارس نسوا يوم رموا العربية بهذه السبة ان لغتهم في القرون الاولى للاسلام كانت جافة لخلوها من الألفاظ العربية فاضطرهم نقصها الى ان فتحوا بابها على مصراعيه لقبول الالفاظ العربية ، فأصبح القدر الذي دخل الفارسية من العربية اكثر من الألفاظ الفارسية الأصيلة فيها . وهكذا الحال في لغة الترك ولغة الاوردو والملايو وغيرها من لغات الشرق . فلا قبول هذه اللغات ألوفاً من الألفاظ العربية مما يعد نقصاً فيها ولا سراية الدخيل والمولد الى لغتنا مما يحسب عليها . وقد قال ابو حيان التوحيدي ان اللغة جارية على التوسع كما هي جارية على التضييق ومن ناحية التضيق فزع الى التحديد والتشديد ومن ناحية التوسع جري على الاقتدار والاختيار .

لاجرم ان العربية من أوسع اللغات وفيها من الخصائص التي يقل ان تشاركها فيها لغة شرقية ، وفي تعلمها تنافس المسلمون على تباين عناصرهم وعصورهم مأخوذين بسحر القرآن على ما أخذ به بلغاء العرب العرباء .

محمد كرد علي

اللغة العربية وسكان الأندلس [1]

في القرون الوسطى

La langue arabe et les habitants de l'Andalousie au Moyen âge

ان جزيرة الأندلس في القرون الوسطى وخصوصاً في القرن الخامس تنقسم الى قسمين الأندلس النصرانية والأندلس الاسلامية ٠

فالأندلس النصرانية عبارة عن قطعة مستطيلة تمتدّ في شمال الجزيرة وتشتمل على بعض مقاطعات ككاطالونيا ونابرّة أي بلاد البشكونش وجليقية ٠ وأما الأندلس الاسلامية فهي تشتمل على بقية الجزيرة أي على اكثر من أربعة اخماس من الجزيرة ٠ وهي تظهر لنا من جهة السياسة على حالة بلاد الفرس في زمان دولة الأرساسيين بعد انحلال امبراطورية الأكمينيين ٠ ولقد كانت بلاد فارس في تلك الأيام منقسمة الى دويلات متعددة يسميها المؤرخون « طوائف » وقد قال ابو الفداء في « كامله » ان عددها يبلغ تسعين طائفة ٠ ويحكم فيها ملوك لا يرتبطون بالسلطة المركزية إلا بعلائق ضئيلة ٠ فقياساً على ما كان عليه بلاد الفرس سمى المؤرخون « ملوك الطوائف » أولئك الملوك الذين استقلوا استقلالاً في جزيرة الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة في ابتداء القرن الخامس ٠

فتكوّنت حينئذٍ نحوُ عشرين دويلة يحكم فيها ملوكٌ أصلهم عرب او برابرة او صقالبة ٠ فالمسلمون العرب يحكمون في قرطبة واشبيلية ، وفي لاردة وسرقسطة ؛ والمسلمون البرابرة في غرناطة ومالطة ورُندة ومورور وقرمونة وطليطلة وبطليوس والسهلة ؛ والمسلمون الصقالبة في المرية ودانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة ٠

هذه هي الحالة السياسية في جزيرة الأندلس في القرن الخامس ٠ وان ملوك الطوائف ليست لهم الا قوة نسبية يحاربون بعضهم بعضاً من غير أغراض معينة ، شأن أغلب الملوك الذين يستولون على الحكم ويقسمونه بينهم حسب الفرص والمصادمات بعد انحطاط السلطة المركزية وانحلال قوّتها ٠

---

(١) محاضرة ألقاها المستشرق الفرنسي الأستاذ پيريس بالمجمع العلمي العربي في ١٢ مايس سنة ١٩٤٤

ليس غرضنا عرض الاسباب التي أفضت بالخلافة الى تلك الحالة ، ولكن يهمنا درس الحركة الثقافية في ذلك الزمان زمان ملوك الطوائف بالأندلس .
نعم تزدهر في بلاطات أولئك الملوك مهما كان أصلهم حياة أدبية عقلية عربية محضة .
وأن شهرة الأديب تهمهم أكثر من سمعة قائد الجيش . فكل ملك من ملوك الطوائف غايته القصوى ان يُعتبر بلاطه مجلساً بل مجمعاً يجمع أفحل الشعراء وأبلغ الكتاب ويجدر بنا ان نُضيف وأكبر مفكري الجزيرة . وفي الواقع لم يُرَ قط في الأندلس الاسلامية أكثرُ أدباء من ملوك ووزراء وغيرهم . فلا يحصى عددهم ولا توصف مزاياهم . فناهيك من شاهد « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان و « البديع في وصف الربيع » لأبي الوليد الحميري ولا سيما « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام الشنتريني و « الحلة السيراء » لابن الأبار .

وهناك أمر جديرٌ بالاعتبار وهو ان الشعوب التي تسكن الأندلس مختلفةٌ جداً من مسلمين – وفيهم عرب وبرابرة وصقالبة – الى نصارى ويهود ولكن الثقافة واحدة وهي عربية محضة . فجميع العناصر مولعة باللغة العربية . فهذا يجب علينا مُعالجته بالتفصيل فنقول :

ان العرب الغزاة في أول الفتح أصلهم ، في الأغلب ، من مدينة النبي ﷺ .
فيهم أنصار ومهاجرون ، انضمَّ بعضهم طوعاً في الجيوش الزاحفة الى أفريقية فالاندلس ، وانخرط بعضهم في أثناء الحوادث التي وقعت بالحجاز والشام وخصوصاً بعد معركتين مشهورتين وقعة الحرَّة في شمال المدينة ووقعة مرج راهط في الشام . في هذه الوقعة الأخيرة تقاتلت قبيلتان متضادَّتان : بنو قيس من معد ، وبنو كلب من اليمن . وتغلبت بنو كلب على بني قيس ومنذ تلك الوقعة أضمرت بنو قيس لبني كلب إِحَناً حملتهم على فتن مستمرَّة . وهاجر عددٌ كثير منهم الى الأندلس على حسب نجاحهم في الشرق أو إخفاقهم فيه .

في أثناء تلك الحوادث دخلت الأندلس فرقة عظيمة من اليمانيين المقيمين بالشام وذلك انَّ الخليفة الأُموي هشام بن عبد الملك بعثهم الى إفريقية لإطفاء فتنة نشبت

نارها هناك . فوصلوا الى سبتة (Ceuta) وهي فرضة بقرب زقاق جبل طارق . وبعد حوادث لا حاجة لنا الى ذكرها أبحرت الجنود اليمانيون بنداء والي الأندلس عبد الملك ونزلت بالساحل الأندلسي .

وحينئذ طارت من جديد فتن بين المعديين واليمانيين الى ان انتصرت جنود اليمانيين . فاستوطنت النواحي الجنوبية التي استقرت فيها فيما بعد .

فأقام جند دمشق بالبيرة أي غرناطة وناحيتها ، وجند الاردن برية أي مالقة ومقاطعتها ، وجند فلسطين بمدينة شذونية والجزيرة الخضراء ، وجند حمص بإشبيلية ولبلة ، وجند قنسرين بجيان .

وأما جند مصر فاستوطن باجه وتدمير اي عمل مرسية . وهنا يحسن بنا استطراد من ذلك الحين شاع على ألسنة الناس إطلاق كلمة دمشق على غرناطة وحمص على اشبيلية . وقد قال ابن سعيد المغربي في المُغرب : « يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية » . وقال الشقندي في رسالته : « غرناطة دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس ... ولم تخلُ من أشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء أفاضل » .

ولما فرّ عبد الرحمن الأموي الملقب بالداخل من الشرق بعد استيلاء العباسيين على الأمر ووصل الى الأندلس وفاوض المعديين واليمانيين ، أخفق مع الأولين واتفق مع اليمانيين الذين صاروا أنصاره الوفيين وأعانوه على تأسيس أمره بالاندلس .

وفي ايام ملوك الطوائف اضمحلت تماماً الاحن والضغائن بين هؤلاء وأولائك ولكن بقيت مميزاتهم الأخلاقية عند أعقابهم . فان المعديين يمتازون بغيرتهم وحماستهم على الذود عن حوض الدين ولهم نخوة ما مع كرم الشيم وسخائها .

وأما اليمانيون فقد اضاعوا طباعهم الحربية فصاروا ليني الجانب ذوي تسامح وأظهروا عاطفة ما الى العناصر غير العربية .

واما ما يخص بالآداب فان الفرق بينهم غير واضح ، فعقلهم وإحساسهم استويا بتأثير إقليم وبيئة مخالفين لجزيرة العرب ولا سيما بفضل حياة جديدة بين أهال قد أثروا فيهم بمخالطتهم إياهم . إذاً اصل مسلمي الأندلس من اعرق قبائل العرب

وأشرفها ولكن هناك عرب آخرون اصلهم غير هولائك . فلما استتب الأمر للأمويين ورسخت اقدامهم في ارض الأندلس وازدهرت خلافتهم حتى ذاع صيتها الى الشرق ، قدم الأندلس عددٌ كثيرٌ من الشرقيين . والقت المراكبُ مراسيها بالمرية ودانية وبلنسية وقد اقامت من مرافئ مصر والشام . فمنهم تجار وصناع ومنهم شعراء وأدباء ومغنون . وقليل جداً من كان يكرُّ راجعاً الى وطنه لما بُذِل لهم من حفاوة في الاستقبال ومراتب ومناصب ، وهدايا وعطايا . وذلك كله يحملهم الى استيطان بلاد الأندلس وربما تلحق بهم أسرهم بعد مدّة .

وعلى هذا الطريق ازداد شيئاً فشيئاً عدد العرب في الأندلس وقويت عوائدهم وأخلاقهم ونزعاتهم بفضل أولئك المهاجرين من الشرق الى الغرب . وقد خصص المقّريّ في كتابه القيم المعنون « بنفح الطيب » باباً طويلاً لأهمّ الرّاحلين الوافدين على الأندلس وهو الباب السادس ولا شكّ انه من امتع ابواب الكتاب . من جملة الداخلين ابو عليّ القالي وصاعد اللغويّ .

وهنا يسأل سائل : اين ينزل الشرقيون ؟ فلا ريب ان جنوب الجزيرة التي يطلق عليها كلمة L'Andalousie خاصة هي الكعبة التي تشد اليها الرحال فتجلب جميع الوافدين الى الأندلس لان مدينتيها قرطبة واشبيلية من اكبر وازهر مدن الدنيا وابهى امصارها . وهنا يوجد بنو عباد وبنو جهور من ملوك الطوائف . وبظواهر قرطبة قبيلة عربية اسمها بنو بَلي قد حفظت عوائدها الخاصة كما كانت في جزيرة العرب ولغتها الفصيحة على احسن حال ، هذا ما يفيدنا به ابن حزم الظاهري في كتاب « جمهرة انساب العرب » .

ومن جهة الغرب في مقاطعة شِلب توجد قبائل يمانية وفي المرية بنو تُجيب من كندة . وفي عمل بلنسية أعقاب الأنصار من أوس وخزرج . وفي جريقة حصن مسمى بحصن الأشراف يُعزى اليهم . وبنو فهر في شاطبة وبلنسية ودانية . وبنو معافر مشهورون ايضاً ببلنسية منهم القاضي ابن الجحاف الذي ورد ذكره مع السيد كمبيادور (Le Cid Campeador) . وبنو واجب لهم عدد لا يُهان ببلنسية وجزيرة

شقرودانية واربولة وألش . وبنو قضاعة في أندة . ونذكر أخيراً قبائل العرب في ناحية سرقسطة منها بنو تجيب .

وبديهي ان أولئك العرب أتوا بلغتهم الفصحى وهي لغة الحكومة الرسمية وحدها . وعلى رجال الحكومة ان يتكلموا ويكتبوا بها ، وعلى الوزراء والكتاب ان يمهروا الى الغاية في الكتابة والكلام بها .

لا حاجة لنا الى سرد فحولة الشعراء وبلغاء الكتاب في القرن الخامس . فكتاب الفتح بن خاقان المحلى بعنوان « قلائد العقيان » حافل بأساميهم ونخب آثارهم فللباحث عنهم ان يراجعه .

واما البرابرة فأصلهم من شمال افريقية . وهم كثيرون في الجيوش التي فتحت الأندلس واخترقت جبال البيرينيه Pyrénées وتوغلت في اعماق فرنسا حتى بلغوا مقاطعة لاتورين (La Touraine) من جهة الغرب وطلعوا الى عين نهر لاسون (La Saône) من جهة الشرق ودخلوا جبال لا ساڤوة (Savoie) وبلاد سويسرا (Suisse) وشمال إيطاليا .

وقد ظلت الحرب سجالاً بين المسلمين والنصارى فرجعت الجيوش الى جبال البيرينيه واستقرت بعضها بالاردة وسرقسطة وليون واسطورقة تشن الغارات على النصارى ، واستوطنت بعضها ناحيتي بطليوس وطليطلة وأسست بها مملكتين نرى لزاماً ان نخصص لها كلاماً إجمالياً .

فطليطلة عاصمة مملكة يحكم فيها أسرة ذي النون التي كان جدها يسمى طوريل من قبيلة هوادة القاطنة الى الآن بشمال إفريقية . وافراد تلك الأسرة الملكية يتعاطون العلوم الرياضية فمرصاد طليطلة مشهور في أيامها وفيما بعدها . وروى لنا المؤرخون الثقات ان القادر أخير ملوك طليطلة لما أُلزم الى مغادرة عاصمته سوّلت له نفسه ان يحمل معه آلة واحدة يقدّرها تقديراً بالغاً وهي أسطرلاب . ومع هذا ذاع صيتُ ملوك طليطلة بثروتهم وبذخ ملكهم ولا سيما فيما يخص الإغدارات اي الولائم والمأدبات التي تقام بمناسبة الختان . وضرب المثل بالإغدار الذنوني لما فيه من البهاء والأبهة .

واما بطليوس فهي عاصمةُ مملكة بني الأفطس الذين اصلهم ايضاً من شمـال افريقية ، من قبيلة مكناسة . ولقد تعرّبوا لغةً وأخلاقاً منذ استقرّوا بالأندلس . فلا نرى اقنع دليلٍ من ان نذكر ملكاً من ملوكهم وهو المظفر . وكان مولعاً بالأدب ، فصيح اللسان ، قوي العارضة . وطالع كتباً جمة في اللغة والنحو والشعر والنوادر والأخبار وايام العرب ، وانتخب منها جوهرها ووضع منها كتاباً جامعاً لكل الآداب الجميلة ، سمي باسمه فقالوا له « المظفريّ » وهو في الحقيقة عبارةٌ عن دائرة معارف ، موضوعها الأدب والتاريخ في خمسين جزءاً . وقد ضاع لسوء الحظ ولم يبق منه الا فقرات متفرقة في كتب شتى .

وابنُ المظفر : المتوكل ، كان أديباً متفنناً ، له لباقةٌ في صناعة الشعر والنثر .

هنا يجدر بنا ان نتساءل : ماذا صار لهؤلاء البرابرة في أخير القرن الخامس وفي اثناء القرن السادس اي في عهد المرابطين والموحدين ، بعد فتح النصارى لطليطلة وبطليوس . لا شك ان اكثر السكان المسلمين هاجروا الى الجنوب واستقروا في مقاطعات غرناطة ومالقة وشمال افريقية . واما الباقي منهم وهم الأقل فلم يبرحوا قراهم وضياعهم واعتنقوا النصرانية كرهاً . ولعل المراقاطوس (Maragatos) الذين يسكنون الى يومنا هذا في الجنوب الغربي من مدينة اسطورقة (Astorga) في بقعة مقفرة لا طائل للاقامة فيها هم نسل المسلمين القاطنين هناك في القرن الخامس . وهؤلاء المراقاطوس قد حفظوا لباسهم الخصوصي الذي لا فرق بينه وبين البرابرة الموجودين الآن في ديار مرّاكش . وزيادة على ذلك فانهم يحلقون رأسهم الا انهم يتركون خصلةً قصيرة من الشعر تتدلى على القفا ، شأن اغلب المراكشيين في يومنا هذا . وهم وان نسوا لغتهم الأصلية فلا يتكلمون بعدُ اللغة الاسبانية المحضة . فالأرجح انهم من اعقاب اجداد مسلمين ينتمي تأريخهم الى القرن الخامس .

فيما عدا مملكتيْ طليطلة وبطليوس فمملكتا السهلة وغرناطة جديرتان بالذكر . فالسهلة واقعة وسط ممالك سرقسطة وطليطلة وبلنسية ودانية . يحكم فيها ملك ضعيف الشأن مع انه ماهر في السياسة ، وربما اقتحم قطره جيرانه المعتدون

عليه لسبب ما ، وبينهم السيد الكبياهور ولكنه يرى من طالع سعده ان يعيش سالماً مطمئناً في زُمرة فتيان يتذّوقون الشعر وما يتعلق به ·

واما مملكة الجنوب فتشتمل على ناحيتي غرناطة ومالقة ويحكمْ فيهـا أميران : حبوسُ وباديسُ بن حبوسُ · واصلها من شمال افريقية ، لا يهمها الا الحرب · وبديهي ان لا يقدر الشعر حقّ قدره ، وينفر الادباء والشعراء من بلاطها الى ان خلفها الأمير عبد الله وحينئذ صارتْ غرناطة مركز حركة فكرية على رأسها الأمير نفسه ·

بقي لنا ان نذكر عنصراً قليل العدد ولكنه عظيم الشأن والنفوذ ، ألا وهو العنصر الصقلبيّ فأول والٍ بل خليفة أمويّ استخدم الصقالبـة في الأندلس هو عبد الرحمن الناصر فقاموا في اول الأمر بخدمات منزلية ثم ارتقت حالهم حتى قاموا بوظائف مهمة في القصر الملكي او خارجه ولعبوا دوراً سياسياً في أخير القرن الرابع وابتداء القرن الخامس · وزاد عددهم الخلفاء بعد عبد الرحمن الناصر واستند عليهم المنصورُ بن ابي عامر في سياسته وعهد اليهم بخطط سيفية كانت او قلمية ·

وهنا قد يسأل سائل : من اين جاء هؤلاء الصقالبة · فلقد تخالفت الآراء في أصلهم ولا ريب انهم في اول الأمر صقالبة ، بحصر المعنى اي اصلهم من بلاد « السلاف » بشرق أوربا فيما يُعبر عنه الآن بـ « روسيا » على المعنى العام · وكانت الشعوب الجرمانية تُغير على تلك النواحي فتسترقّ الرجال والنساء والبنين ، وتبيعهم الى سكان الأندلس · ثم بعد مدة أُطلق اسم الصقلبي على كل أجنبي أبيض الوجه استخدم في حرم الأمراء او في الجند · وقد قال ابن حَوْقل الذي سافر الى الأندلس في القرن الرابع : « ان بلد الصقالبة طويل فسيح والخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشقّ بلدهم ويستمرّ مغرّباً الى نواحي اطرابزندة ثم الى القسطنطينية ويقطع ناحيتهم بنصفين : فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيون والنصف الشمالي يسبيه الأندلسيون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية » ·

وكان أربابهم اذا لاحظوا فيهم استعداداً خاصاً للأدب والثقافة ، ربوهم تربية توافق مواهبهم وعلموهم العلوم النقلية كأنهم من أولادهم · وآل الأمر الى

ان بعض الصقالبة أثرَوْا بوظائفهم العالية واقتنوا بدورهم خدماً كثيراً وابتاعوا كتباً مختلفة الفنون وملأوا بها مكاتب عظيمة . وصاروا هم من جملة الأدباء والمفكرين . وقد كثر عددهم حتى ألف أحد منهم اسمه حبيب في ايام الحكم بن عبد الرحمن الناصر كتاباً يجمع فيه اشعارهم ليبرهن ان الصقالبة لهم استعدادات طبيعية كسائر العرب للنظم والنثر ، وعنوانه : « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة » ، وقد عاث فيه الزمانْ ولم يُبق له أثراً بعد عيانْ .

هذا ما يخصّ بالأدب . واما من حيث السياسة فان الصقالبة قد استقلوا بشرق الأندلس وأسسوا مملكةً في دانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة . وحاول بعضهم ان ينشئ دويلة في بلنسية ، غير انه لم يلبث ان تغلب عليه بنو هود من سرقسطة وبنو عامر اولاد المنصور بن ابي عامر .

معلوم ان المسلمين من عرب وبرابرة وصقالبة ، لا يكوّنون وحدهم سكان الأندلس . فبجانبهم أهل الكتاب من نصارى ويهود . ويحسن بنا ان نعرض لحالتهم الاجتماعية والادبية على وجه إجمالي لنقتنع بأنهم على غير ما نظنه باديء بدء .

قد أُطلق على النصارى الأندلسيين اسم « مُزاراب » (Mozarabes) وهو مشتقّ من « استعرب » كأنهم استعربوا بمخالطتهم العرب وسنرى ان ذلك صحيح بدلالة مؤرخيهم أنفسهم . انهم يعيشون كسائر أهل الذمة تحت إدارتهم المدنية الخاصة . فواليهم اسمه القوندي (Condé) بعينه الخليفة . وقد اشتهر القوندي سرفاندو (Servando) بقرطبة والقوندي تودّو (Toddo) بقلمرية (Coïmbre) ويحكم القوندي بين النصارى بالمرافعة الثانوية والسنسور (Censor) هو الذي يحكم بالمرافعة الابتدائية . واما الدفنسور (.Defensor) اي المحامي فيقيم بقرطبة ويحامي عن أهل دينه قدّام الخليفة . واما الجنايات والجنح والمخالفات التي تقع بينهم وبين المسلمين فترفع لدى المحاكم الاسلامية .

وكان المزاراب يجتمعون في حارات وأحياء على حدة ولكنهم يخالطون المسلمين كل يوم ويعاملونهم في الشؤون المعاشية ويلقفون لغتهم كما هو بديهي ،

ويتعرّبون بل يستعربون بلا ريب ويختارون اللباس العربي ويفضلونه على اللباس النصراني ويتخذون لأنفسهم كنىً وأسامي وألقاباً عربية ٠

وعندنا وثيقة تقرّر ان النصاري المزاراب قد تعمقوا في التعرّب وذلك منذ القرن الثاني ٠ فان نصرانياً اسمه ألفارو (Alvaro) من قرطبة متوفى في منتصف القرن الثاني للهجرة يصرّح بكل صراحة في كتابه المعنون بـ « الدليل اللامع » (Indiculus luminosus) الذي كتبه باللاطينية ، ما يلي : « ان اخواني في الدين يولعون بمطالعة القصائد والروايات العربية ويدرسون مؤلفات الفقهاء والفلاسفة المسلمين ، لا لشأن الردّ عليهم بل ليضطلعوا بالنطق العربي الفصيح وبالكتابة البليغة ٠ وأين نجد اليوم نصرانياً كفئاًبقراءة النفائس للكتب المقدسة ؟ من فيهم يدرس الأناجيل وكتب الأنبياء والحواريين ؟ يا للأسف ! جميع فتيان النصارى الذين يمتازون بنبوغهم لا يعرفون الا اللغة والآداب العربية ويطالعون ويدرسون برغبة زائدة ، الكتب العربية ويملأُون بالنفقات الباهظة مكتبات عظيمة ويعلنون في كل مكان ان هذه الآداب عجيبة كل الإعجاب ٠ غير انهم اذا ذكرت لهم الكتب النصرانية جاوبوك ان تلك الكتب غير جديرة باهتمامهم ٠ ان النصارى أهملوا لغتهم حتى نسوها تماماً ٠ وفي الف منهم تجدُ بالكدّ والمشقة واحداً يعرف ان يحرّر رسالة الى صديق على ما يقتضيه القواعد النحوية ٠ وبالعكس اذا فتشت من يكتب بالعربية وجدتَ عدداً جمّاً منهم يعبرون بهذه اللغة بأحسن رشاقة ورأيت انهم ينظمون قصائد أفضل ، من حيث الصناعة ، من اشعار العرب أنفسهم » ٠

لقد صحّ ما قال الكاتب اللاطبنيّ الفارو (Alvaro) ٠ فان النصارى بعد طول احتكاكهم بالعرب ولما رأوا في المسلمين من التسامح وعلوّ الهمة قد بلغوا الى درجة انهم يتكلمون بل يفكرون في العربية ويعرضون عن اللاطينية التي صارت غير مألوفة لهم ٠

ان الفارو المذكور أعلاه قد ألمّ بثلاث لغات : اللاطينية والعربية والعبرية ٠ وقبله اشتهر نصراني آخر اسمه جوان الاشبيلي (Juan Hispalense) وهو سعيد

المطران الذي ورد ذكره في الكتب العربية فألف تفسيرا بالعربية على «التوراة» وترجم الأناجيل من اللاطينية الى العربية .

وهنا يحسن بنا ان نلفت الأنظار الى مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بمدريد ، فيه مجموعة من القوانين والقرارات الباباوية ينتمي تاريخه الى القرن الثالث الهجري في ختامه اشعار عربية على حسب القواعد العروضية الصحيحة . وصاحبها خوري اسمه فسنتي (Vicenté) وتضيف الى ذلك ان إهداء الكتاب الى المطران عبد الملك (كذا) محرّر بالنظم الفصيح .

وفي أيام عبد الرحمن الناصر يضع المطران ريسموندو (Recemundo) المسمى ربيع بن زياد عند العرب ، تقويماً بالعربية يترجم فيما بعدُ ولعلّ المترجم هو جيرار دي كريمون (Gérard de Crémone) المشهور .

وفي القرن الخامس قلّ جداً عدد النصارى المزاراب بالأندلس ولقد أسلم اكثرهم وابدلوا اسامي عربية من اساميهم النصرانية وقلما نجد ألقاباً نصرانية تدلّ على اصلهم . فصيرتهم البوتقة العربية رجالاً عربيين لسانا وعاطفة .

اما اليهود فهم أهل كتاب كالنصارى . تمتعوا من ابتداء الفتح العربيّ بحرّية وتسامح يخالفان تماماً السياسة القوطية التي شعارها الظلم والاعتداء . وبفضل هذا التسامح وهذه الحرية تحسنت حالة اليهود مادياً ومعنوياً ولا سيما بقرطبة في ايام عبد الرحمن الناصر . فلا يعنينا ما قد حققوا في ميدان التجارة والصناعة بل غرضنا ان نبسط علائق الحركة الفكرية اليهودية بالثقافة العربية . فنقول اختصاراً :

ان يهود الأندلس الى منتصف القرن الرابع ، من حيث ثقافتهم ، تابعون للأكاديمية البابلية الشرقية التي مركزها بسوار (Sora) . ولكنهم في هذا الزمان شاءت المقادير ان تعينهم على تأسيس مدرسة يهودية بقرطبة . وذلك ان عدّة احبار من اليهود ركبوا البحر المتوسط فأسرهم أمير الاسطول الأندلسي بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر . وأتى بهم الى قرطبة . ففدت الأمة اليهودية القرطبية اثنين منهم رغبةً منها في إبقائهما بالعاصمة الأندلسية . وهكذا وجدتْ مدرسة قرطبة اليهودية حبرين علامتين لإدارتها واستئناف الدروس التلمودية بها . ومن حسن

الحظ أُتيح لها ان وجدت محامياً متنوراً مثقفاً في نفس النطاسي النحرير حسداي ابن شبروط الذي تخصص بخدمة الخليفتين : عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم . وقد استعمل نفوذه وأمواله لتحسين حالة اليهود وإزهار الآداب اليهودية وإعطاء المكاتب الأندلسية جميع الكتب التي نُشرت بالشرق . وحينئذ تكاثر عدد اليهود وعمروا مدينة خاصة وهي لوسينة (Lucena) بقربة من غرناطة . واحترفوا بالتجارة والأدب والديبلوماسية واتخذوا بقرطبة بعض مشخصات العرب مثل لباسهم ولغتهم وأخلاقهم .

ولكن خلافاً لما ننتظره لم يتسع نطاق اللغة العبرية لأن الثقافة اليهودية في تلك الأيام مدينة للغة العربية من حيث المبنى او بعبارة أوضح : فالمعنى يهوديّ والمبنى عربيّ . وإليكم بعض الأمثال فيما يخصّ القرن الخامس .

هـذا ابن جناح النحوي المؤسس الحقيقي للنحو العبري : كتابه الرئيسيّ « التنقيح » مكتوب بالعربية .

وهذا ابن جبرون الذي يسميه العرب : ابا أيوب سلمان بن يحيى . فكتابه في الفلسفة المعنون بـ « عين الحياة » محرر بالعربية متأثر جلياً بالنظرية الفلسفية لابن مسرة القرطبي المتوفى سنة ٣١٩ = ٩٣١ وصلة فكر ابن جبرون بالعرب واضحة كل الوضوح حتى في أقصر مؤلفاته التي حرّرها كلها بالعربية ، منها كتاب في النحو يتأسف فيه — كما سبقه في ذلك الفارو القرطبيّ — على إهمال إخوانه للغة العبرية ويعبر عن اليهود السرقسطيين بـ « الأمة العمياء » ويؤنب بعضهم لأنهم يتكلمون بالإدومي (iduméen) بالعجمية الأندلسية ، وبعضهم لانهم يستعملون الكيدار (kédar) اي اللغة العربية ومنها منتخباته التي جمع فيهـا ما اقتبس من الفلاسفة اليونانيين والحكماء العربيين من أمثال وحكم ، وكلها مكتوبة بالعربية .

وهذا باهية بن باكودا المعاصر لابن جبرون و كتابه « واجبات القلوب » الذي يظهر فيه تأثير المذهب الأخلاقي للغزالي هو أيضاً محرّر بالعربية .

ثم هذا موسى بن عزري الشاعر الغرناطي الذي عرض في كتابه : « قلادة الجواهر » للحبّ وبنت الحان واللهو على غرار العرب وبالعربية . وكثيراً ما نعثر في

أشعاره على المحسنات العربية مثل التجنيس والمطابقة وكتابة : « المحاورات والمذكرات • عبارة عن رسالة يعالج فيها صناعتي الشعر والنثر ويبسط فيها تاريخ الأدب الشعري اليهودي بالأندلس مع المقارنه بين الشعر الاسرائيلي والشعر العربي • وكل ذلك باللغة العربية الفصحى •

واليكم دليلاً آخر وهو يهودا هالوي النظامي الطليطلي • يكتب بأسلوب عربي أنيق واشعاره حافلة بأبهى الأوصاف الطبيعية • ومؤلفه الرئيسي هو « كتاب الخزري » الذي هو عبارة عن قصة فلسفية بالعربية موضوعها اعتناق ملك الخزر للدين الاسرائيلي في القرن السابع للمسيح • وقد صارت فيما بعد مثالاً حذا حذوه بعض المؤلفين النصرانيين باسبانيا اكبرهم رامون لول (Ramon Lull) •

وبعد فقد طال سرد حججنا على انتشار اللغة العربية وآدابها بين اليهود الاندلسيين ، وفي الاطالة ملالة ، ولكن نطلب من فضلكم ان تسمحوا لنا بأن ندلي بدليل أخير ألا وهو ابن ميمون الذي عاش في القرن السادس • كتب رسالته في « الردة » (Apostasie) بالعربية ، وبالعربية أيضاً كتب كتابه المعنون بـ « التبيين » (Elucidation) ورسالته في « التعزية » (Consolatide) على الامم الاسرائيلية اليمنية ، وكتاب « القوانين » (Lois) ولاسيما « مرشد الضالين » (Guide des Egarés) الذي هو حقيقة موسوعة فقهية فلسفية للملة اليهودية يحاول فيها ان يوافق بين العقل والإيمان •

هذا وبجانب هؤلاء اليهود الذين بقوا على دين اجدادهم ، مع ميلهم الى الثقافة العربية ، يحسن بنا ان نذكر اليهود الذين اسلموا اسلاماً خالصاً واشتهروا بالأدب العربي • وهم الذين ينعتون بصفة الإسلامي غالباً وفي بعض الأحيان : باليهودي او الاسرائيلي • واسم ابن سهل الاسرائيلي الشاعر في الموشحات مشهور في القرن السابع •

واما في القرن الخامس الذي نحن بصدده فنجد خمسة أدباء يجدر بنا ذكرهم وهو ابن سدراي وابن القروي وسموئيل بن نغريلة ويوسف بن نغريلة وابن حسداي •

ابن سداري المكنى بابي بكر هو وزير ملك السهلة : عبد الملك بن رزين • وقال في شأنه صاحب « نفح الطيب » (ط • لندن ج ٣ ص ٣٧٧) :

«كان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب ابو بكر بن صدراي وذكره الحجازي في المسهب وقال : إن له شعراً أرق من نسيم السحر ، واندى من الطل على الزهر» .

وأما ابن القروي فهو حسبما ورد في «الذخيرة» لابن بسام (مخطوط ج ٣ و ١٧٣ ظ) الملك من ملوك الطوائف لم يذكر اسمه . وله كاتب مسلم : ابو الحسين بن الجد ، وبين الوزير وكاتبه نوادر تدل على تضلعهما من اللغة العربية .

والمثل الأمثل لإجادة الاسرائيليين في الآداب العربية هو سموئيل بن نغريلة . وقد أجمع الأدباء الأندلسيون على ان ابي نغريلة هذا وزير ملوك غرناطة قد ألمَّ بدقائق اللغة العربية وخصائصها واعترفوا به كاتباً عبقرياً . وعلاوة على ذلك كان سخي النفس جزيل العطايا للشعراء والأدباء ، ويحمد فيه فطنته وذكاؤه .

وأما ابنه يوسف بن نغريله فكان مجيداً ، كأبيه في النظم والنثر العربيين ولكن لا يعرف كأبيه يجلب القلوب اليه بإحسانه ودعته فأثار فتنة قضت عليه .

وبقي لنا ذكر ابن حسداي وزير ملكي سرقسطة المقتدر والمستعين . وله الحظوى الكبرى عندهما وكان لا يغادرهما أبداً لحاجتهما اليه ويرافقهما في سفرهما ويشاركهما النزهات بالزوارق على نهر الإبره (Ebre) . فهو النديم الأديب الذي يلهي صاحبيه بأشعار مرتجلة ونكت ظريفة . ومن اكبر الدليل على تقدير المستعين له ماحكاه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان انه لما احتفل بزفاف بنته الى الوزير ابي بكر بن عبد العزيز عهد الى ابن حسداي بتحرير الرسائل لدعوة الاعيان والاكابر الى العرس .

مما أسلفنا نستدل جلياً ان اللغة العربية هي المثل الأعلى للغة الأدبية في القرن الخامس . فان جميع الشعوب والعناصر في الأندلس تستعملها برغبة أكيدة لا منازع فيها . فبديهي ان المسلمين يتكلمون بها ويكتبون بها ويعبرون دأباً عما يخالج انفسهم نظماً ونثراً . فاللغة من مقومات الناس في كل زمان ومكان . وأما ما يخص بالأندلسيين غير المسلمين من نصارى ويهود فغريب بادئ بدء استعمالهم اللغة العربية .

فان للنصارى المزاراب اللغة اللاطينية ولليهود اللغة العبرية وهاتان اللغتان أدبيتان كاللغة العربية . ولا يمكننا الا ان نتساءل اي سبب يحملهم الى دراسة اللغة العربية وتفضيلها على غيرها .

هل هي الفائدة او المصلحة الشخصية ؟ فلا شك ان المصلحة الشخصية من أهم الأسباب النفسية التي تدعو الإنسان الى الحركة والعمل . وان الوظائف المهمة والمناصب العالية لا تعهد ، على ما يظهر في القرن الخامس ، الا الى من يضطلعون بالعربية ويجيدون تحرير رسالة بالنثر الفني ويرتجلون الأبيات المفعمة بالإشارات التاريخية والتلميحات الأدبية ويؤلفون بديهة من غير روية تهنيئة او دعوة وينظمون ، اذا سنحت الفرصة ، مدحاً للتقريظ أو رثاء للتعزية . وان تعطى المناصب العليا المسلمين فالخطط الثانوية توزّع على كل السكان مهما كان دينهم ، لا يراعى في ذلك إلاّ الأهلية والكفاءة . وهذا أوضح دليل على سيرة العرب الفاتحين مع الأهالي المفتوحين قوامها التسامح العام .

وهنا يسأل سائل : لماذا النصارى واليهود لايصرون على استعمال لغتهم الأدبية الخاصة ودراستها ولهم الحرية في إقامة شعائر دينهم بلغتهم — في حدود أمر عمر بن الخطاب المختص بالذميين — ولهم الاذن من قبل الخليفة أو الملك في انعقاد « كونسيلات » أي مؤتمرات دينية يناظرون فيها باللغة اللاطينية أو العبرية مسائل تتعلق بشؤنهم الشخصية ؟ إذاً المصلحة ليست وحدها سبب اهتمامهم باللغة العربية واستعمالهم إياها في تناول مواضيع نظرية معنوية كانت أو فلسفية .

يجب علينا أن نلتمس سبباً آخر لا يمتّ الى المصلحة بصلة وهو ان اللغة العربية في القرن الخامس تظهر للشعوب جمعاء القاطنة بالأندلس اللغة الوحيدة التي تشفي غلة الشاعر أو الفيلسوف — بثروتها ومرونتها ، نعم اللغة الوحيدة التي تقدر ، باتساع نطاق مفرداتها وتفنن تراكيبها النحوية ، وجزالة ألفاظها من أصيلة ودخيلة ، على ان تعبر عن أدقّ العواطف وأعلى الأفكار وذلك لأن لغة العرب ، لغة قريش والقبائل العريقة في العروبة ، قد بلغت ، في القرن الخامس ، الى كمال لا تتجاوزه فيما بعد .

ان الشعر في القرون الثلاثة الأوَل قد غير ومرّن تراث العصر الجاهلي وأفسح مجال الشعر الذي ازدهر في صدر الاسلام . فتحضر بعد ان كان بدوياً ، وبتأثير المدنية الحضرية والأخلاق المتمدنة والحياة النعيمة التي ذاعت في البلاطات الملكية بدمشق ولا سيما ببغداد ، قد تر شيئاً فشيئاً ما بقي فيه من خشونة وواقعية . وانسجم ايقاعه وتناسق تقطيعه . وعلاوة على ذلك تفنن في أغراضه كأنه لا يقبل ما قد فرض عليه من بيان ضيق وبديع حرج . وزعم على ان يصور عواطف وأحوالاً نفسية ونزعات كادت تجهل في الجاهلية وفي صدر الإسلام . وبكلمة واحدة صار إنسانياً أكثر وأدقّ .

وقبل كلّ شيء فانه لفت أنظاره الى الطبيعة فهو في رسمها وتصويرها لا يكتفي بجمع خطوط وأدهان مادية محضة تكوّن شبه لوحة يابسة غير كاملة لا تظهر فيها حياة ولا يبرز فيها الا ألوان منفردة لا تخلو على كل حال من رشاقة ما . وانه يحاول ان يرسم إطاراً حيث تأتلف الأدهان بعضها ببعض وتقوى بعضها إشارة الى المهمّ الممتاز وتعين كل العناصر على تكوين لوحة تحقق الحياة فيها ويجد الانسان فيها محله الطبيعي.

وتحول الشعر في المبنى والمعنى ناتج من عمل الشعراء الذين يشرفون على التاريخ الأدبي كأنهم نجوم زُهر تلمع نوراً وتسطع شرراً وهم :

بشارُ بن ُبرد العبقري الازيّ العقلية ، وأبو نواس ، فرلين (Verlaine) صدر العصر العباسيّ ، ومسلم بن الوليد ، الملقب بصريع الغواني ، وابو العتاهية ، شاعر الزهد التشاؤمي ، وابو تمام والبحتري وابن الرومي ، هؤلاء الثلاثة الذين جدّدوا الأغراض القديمة ، وابن المعتز ، الرّسام الأنيق الدقيق للطبيعة ، وابو الطيب المتنبي ، أمير الشعراء ، فيكتور هوغو القرن الرابع ، وابن هانئ الأندلسي العبقري المتوفى في عنفوان قدرته ، ولا سيما « ابو العلاء المعرّي » الشاعر البصير الحكيم الأكبر المعاصر للقرن الذي نحن بصدده .

هذا شأن الشعر في القرن الخامس .

وأما النثر فهو على وجهٍ عام تأسيس القرون الثلاثة الأول فوجوده في الجاهلية مشكوك فيه . ويحاول ان يتكوَّن في صدر الإسلام لأنه لغة الخطب أكثر منه لغة الرسائل والكتب . ثم يشعر بقدرته في زمان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع اللذين يستاهلان ان يُعتبرا مؤسسيه الحقيقيين . ثم يجيء ابن قتيبة ويُمرّنه مع انه يُبقي له صبغته العربية الخالصة . وأما الجاحظ فيفسح المجال للنثر في ميادين شتى ويعالج به مواضيع متفننة . وفي زمان المأمون ومن تبعه من الخلفاء العباسيين يمتص النثر في الترجمات من اليونانية ماء ينميه وينعشه ليعده على إثمار خصب ويبلغه الى مقداره المنطقي" الكلامي" ويصيره آلة كاملة لتعبير أدق الأفكار بواسطة المتكلمين والفلاسفة وأمراء البيان .

وفي القرن الخامس نفسه يعرف الشعراء والكتاب الأندلسيون كاتبين معتبرين في الشرق ألا وهما الغزالي" والحريري" . فالغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هو حجة الإسلام صاحب المؤلفات العربقة في المعاني الفلسفية الدقيقة ، والحريري المتوفى سنة ٥١٥ (خمس عشرة وخمسمائة) هو صاحب المقامات ذات الأسلوب الفائق الخلاّب .

إذن ماذا يعوز الشعوب الأندلسية ولديها أكمل آلة للتعبير عن أفكارها الجدّية أو الهزلية ؟ فقد برهنا انها تُكثر من استعمالها على احسن حال . فاللغة العربية تظهر لغة شبه عالمية تبشر فيما يخص الأندلس بازدهار الأدب والفلسفة والتاريخ في القرن السادس مع ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وفي القرن الثامن مع لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون .

هنري پيريس

فضل العرب على علم الحيوان

-٢-

١٠ – الأُخَيْضِر

الأُخيضر ، بصيغة التصغير هو المسمى بالانكليزية Eider وهو ضربٌ من بط البحر من جنس صوماتريه Somateria وموطنه الربوع الشمالية من اوربة واميركة وهو مشهور بريشه اللين الناعم الذي يكسوه . واسمه أيضاً البط الأخيضر . والأُخيضر الأميركي S. dresseri والأُخيضر الملكي S. spectabilis والأُخيضر ذو النظارات Arctonella Fiseheri هي أصائل هذا النوع .

وقد أرجع لغويو الانكليز الأيدَر Eider الى لغات السكان الذين في شمالي اوربة كالاسكندنياوية ، والاسلندية ، والسويدية ، والدانيمركية ؛ أما نحن فنظن انها من الأُخيضر تصغير الأخضر وقد سمي به بعض الأشياء ، والأخضر عند العرب يطلق على الأسود أيضاً . وسُمي بذلك لان الريش الأسود الذي يعلوه هو أقل من الريش الأبيض .

ولان البحر يوصف بالخضرة ، وهذا البط يلازم البحر ، لا يكاد يفارقه إلا في النادر ، فالأيدر تصحيف الأُخيضر وتخفيفها ، على رأينا

١١ – الأُرْقش

اصل هذه الكلمة ، انه كان عند اليونانيين امير صاحب مدينة اسمها (ارقش) من مدن بلاد اليونان ، وكان له مئة عين – على ما يرويه رواة أساطيرهم – وكان خمسون من هذه العيون لا تغمض البتة ؛ فأوعزت اليه يونون ، زوج يوبيتر (يوبيتر او يهوباتر هو المشتري) ان يحرس (يو) ، ابنة ايناخس التي مسخها يوبيتر عجلة ، فتمكن مركوريوس (عُطارد) من تنويمها حاقّ التنويم ، على صوت مزماره ، ثم قطع رأسها . فبثت يونون عيونها على ذنب الطاووس . فاشتهر الارقش عند الأقدمين ، من يونان ورومان ، وكذلك عند الكتبة المحدثين من أبناء

الغرب ، بمعنى الرقيب المكروه المزعج . وهو الذي يرمز اليه العربُ بالجعل ، فانهم يقولون : « سَدِكَ به جُعلُه » اي لزم الرقيب صاحبه لزوماً مكروهاً مزعجاً .

اما اليوم فيريد العلماء بالارقش طائرين[1] : الأول : فراشة مرقشة حينما تكون أسروعاً[2] وفراشةً . والثاني : طائر مجاوز للتدرج ، وهو مرقش مبرقش ، ويكون مسكنه شرقي الهند ، والنوع المشهور يسمى عندالعارفين بالعجماوات Argus gigantues اي الارقش الكبير ، ويمتاز الذكر منه بريش طويل بديع مرقش في جناحيه وذنبه ، والنوع الثاني يسمى بلغة العلم A. Gryi وهو الارقش البرنويّ

والظاهر ان فقهاء لغتنا عرفوا أسروع الفراشة وسموها الرقشاء بتقدير دويبة . قال ابن مكرَّم : « الرقشاء دويبة تكون في العشب : دودة منقوشة مليحة ، شبيهة بالخطوط » اه : فهذا وصف أسروع الفراشة . قلنا : ويبقى اسمها عليها وان انسلخت فراشاً . فاتفق وصف العرب مع وصف بني الغرب اتفاقاً عجيباً لكن العرب سبقوا الافرنج في هذا بمئات من السنين .

وأما الطائر فانه لم يعرفه العرب لبعده عن ديارهم ولو عرفوه لسموه أيضاً ارقش

١٢ — الفسَّاء او المُنقي والنوريّ

الفسَّاء هو الظربان الاوربي والاميركي . واسمه بالفرنسية والانكليزية Vison وهو يطرد عدوه بان يخرج ريحاً منتنة ولم يهتد الباحثون عن الحيوان الغربيون الى أصل هذا الحرف مع ان هذا الأصل واضح لكل من له أدنى إلمام بلغتنا . واسمه العلمي Putorius vison أي الظربان الفسَّاء ومن اسمائه الانكليزية Minx وهو من العربية (مُنق) لانه يُنقي المكان إنقاء اي يطهره من اعدائه بالوسيلة التي أشرنا اليها ، ومن اسمائه في اللغة المذكورة Nurik وهو من العربية (نوريّ) واحد النور ، لهذا الجيل المشهور بالمهانة ، والذل ، والقذارة . فالفساء سمي بذلك لقذارته ووسخه ، فهو بين العجماوات كالنور بين اجيال الناس على اختلاف قومياتهم .

---

(١) الطائر عند العرب كل ما يطير ، فالذباب ، والنحل ، والزنابير ، كلها طيور . (راجع المخصص في كتاب الطير) . وكذلك الوزى les oiseaux طيور (راجع لسان العرب في وزي)

(٢) الاسروع هو الفراشة حينما تكون دودة وبالفرنسية chenille وبالانكليزية caterpilar

ويتخذ من هذه الدابة فراء نفيسة .

١٣ – الصافّ

الصافّ (بتشديد الآخر) وبالانكليزية Sappho نوع من أنواع عديدة من الطيور الصغار المتلألئة الألوان المعروفة بالذبابيات لضآلتها ، وموطنها اميركة الجنوبية . وهي من جنس الصافّات البديعة الاصباغ واللامعاتها ، والمتباعد انفراج الذنب ، وتسمى أيضاً النارية الذنب ، وهي تصفّ في طيرانها ومنها اسمها . وأما الافرنج فانهم لم يتفقوا على سبب تسميتها بهذا اللفظ .

١٤ – الشعشاع

الشعشاع في اللغة : الطويل واللبق والخفيف والحسن ويراد به هنا ضرب من بقر وحش الهند أو ظبائها يسمى بالانكليزية Sasin وباللاتينية العلمية مامعناه الظبي البادزهري antilope bezoartica والظبي العنز الأبلي A. cervicarpa وهو مشهور برشاقته وحسنه وخفة حركته وجماله الفتان، وله قرنان طويلان ملويان ومتباعد الواحد عن الآخر .

١٥ – الصعصع

الصعصع وزان هدهد وجعفر : طائر ابرش يأخذ الجنادب . وهو ضرب من الزرازير اسود الرأس والعنق والجناحين وما بقي منه « أبرش » أي احمر وردي وهو الذي يسميه العراقيون السمرمر وبعضهم يقول سمرمَد (أي براء في الآخر وبدال أيضاً) وله عدة اسماء أخر في العربية واسمه بالفرنسية Etourneau rose وباللاتينية Pastor roseus وبالانكليزية Rose coloured starling وانما ذكرته هنا لأن بعضهم وَهِم وظن انه المسمى بالانكليزية Sora وهو غلط شنيع .

١٦ – العنقاء

ليس الكلام هنا على عنقاء مغرب ، انما الكلام على طائر طويل العنق ، والعنقاء في لغتنا مؤنث الأعنق وهو الطويل الجيد . و عرف بهذا الاسم الخالي من كل صفة ، او اضافة ، او قيد ، طائر أنواعه المعروفة أربعة . والعنقاء بالانكليزية anhinga

و Snake bird اي طير الحية لشبه عنقه بالثعبان بالطول والتلوي ، وهو من طيور الماء من السباحات Plotus ، وله بعض الصلة بالبجع وغراب الماء ، الا انه يمتاز عنها بطول العنق ، ودقته ، وسرعة ليه ، وبمنقار حادّ .

والعنقاء الاميركية هي المعروفة عند أهل هذا العلم باسم Plotus anhinga أو Anhinga وتسكن في جنوبي البلاد المتحدة من أميركة والديار الاستوائية من تلك الأرجاء . ومن اسمائها الانكليزية Darter اي الوثابة و Water turkey اي الغرغر المائي . والنوع الآسوي يسمى A. melanogaster اي العنقاء الأسود البطن ، وموطنه جنوبي آسية وشرقيها ، وشرقي الهند . وهناك نوعان آخران يأويان الى كل من افريقية واسترالية .

١٧ — أبو الصون

ابو الصون هو حيوان من ذوات الأجربة ، وسمي كذلك لوجود صَوْن (أي ما يُصان فيه الشيء) عند أسفل بطن الأنثى تصون فيه أولادها .

واسمه باللغات الغربية Opossum وقالوا : هذه الكلمة من لغة هندية أميركية و يزيدوا على هذا القدر ، مع ان الأصل العربي المضري العدناني واضح لكل ذي عينين ولا شبهة فيه . وهو حيوان من ذوات الأجربة من الجنس المسمى عند علمائهم Didelphys و Chironectes أي ذوات الرحمين والمقذافية اليد .

والنوع المشهور هو الذي يعيش في البلاد المتحدة من ديار أميركة ، واسمه العلمي Chironectes variegatus اي المقذافي اليد المرقش ، وأصابع رجليه ملتحمة كأرجل البط . ولهذا النوع اسم ثان بالانكليزي هو yapock (يابوك) وهو تصحيف (يافوخ) العربية ، لظهور يافوخه ظهوراً بيناً أكثر من سائر الحيوانات ، ولاسيما حين يسبح .

١٨ — الفساء والظربان والضرِط

مرّ الكلام على الفساء في الطريدة[1] التي رقمها ١٢ وقلنا ان الافرنج اشتقوا

(١) الطريدة في فن الرسم والكتابة نبذة من الكلام المنثور محصورة بين بدئها برأس سطر وختامها عند بدء نبذة أخرى وتسمى أيضاً دبرة ومشارة وبالفرنسية Paragraphe .

منه Vison والآن نقول ان الانكليز يسمون جنساً من الظربان Zoril، وهو تصحيف واضح للفظ العربي (ضرِط) قال بعض لغويينا : « الضرط : دابه بين الكلب والسنور . قيل : اذا صيح بها، وقع عليها الضراط من الجبن » والأمر يجري فيه دون ان يصاح به . وهو بين الكلب والسنور يكون في افريقية ويصاد لفروه .

وأما الظربان العربية ، فان علماءنا اللغويين لم يذكروا لها أصلاً يوجه اشتقاق هذا الاسم . وعندنا انه مشتق من الظرب بمعنى الضرط على ما هو معهود في هذا الحيوان

١٩ — الشريجة

الشريجة حيوان من ذوات الأجربة واسمه الافرنجي Sarigue . ويقول العلماء الغربيون ان أصلها من البرازيلية لكنهم لا يفسرونها تفسيراً يوجه استعمالها لهذه الدويبة والذي عندنا انها من العربية (شريجة) ومعناها : « الجوالق كالخرج ، ينسج من خوص النخل . تحمل فيه الخضر ونحوها . وجديلة من القصب تتخذ للحمام » ويتوسع في معناها فتطلق على كل ما أشبه هذه الأداة من أي مادة اتخذت . ويراد بها هنا دابة كأبي الصون Opossum ، تكون في جنوبي أميركة . واسمها العلمي Didel phus opossum أي ابو الصون ذات الرحمين ، وعلى وجهها اربع نكت بيض ، وللأنثى شيء كالخرج عند أسفل بطنها تضع فيه أولادها .

٢٠ — الشعشاعي

الشعشاعي غير الشعشاع وان كان كلاهما من بقر الوحش اي الظباء . واسم الشعشاعي العلمي (اي اللاتيني) Alcelaphus lunata اي الايل الهلالي القرن واسمه بالانكليزية ساسابي Sassabye وهو يشبه التيتل الا أن قرنيه معوجان اعوجاجاً مألوفاً كالهلال . وموطنه افريقية .

٢١ — العلق

العلق حيوان لبون مجتر من ذوات الأخفاف ، موطنه الارجاء الشمالية من أوربة واميركة ، وهو كالأيل لكنه عظيمُ الجثة وله قرنان متشعبان كثيرا الشعب

والأفنان ، وهو — اذا دخل غابةً او ايكة ، لا يستطيع ان يسير فيهـا لاشتباك قرنيه بها ، لأنهما يعلقان بها . ومنه اسمه بالعربية . والكلمة لا وجود لها في معاجمنا العربية لان الاشتقاق يثبتها ولأن الأقدمين ما كانوا يثبتون في دواوينهم اللغوية ما يتعلق بعلم المواليد الا في الندرة .

اما اسمه باليونانية فهو Alka أو Alkè اي كالعربية بلا أدنى فرق وباللاتينية Alces او Alcis وبالفرنسية Elan ولغويوهم يقولون انهـا من لغة قديمة لا يعرفون معناها . فالعربية تفسرها تفسيراً بديعاً .

٢٢ — الزِبعرى

الزِبَعْرى بكسر الزاي وفتح الباء الموحدة التحتية وسكون العين المهملة يليها راء فياء مهملة ، على ما ذكره اللغويون : « انثى التماسيح ، او دابة ، قيل : تحمل بقرنها الفيل » ا هـ .

إنما ذكرناه لان بعضهم ظنَّ انه الزبراء Zèbre أو الحمار العتابي . وهذا وهم فظيع ، لأن العتابي أو الزبراء لا يأوي الى المياه ، ولانه ليس له قرن ليحمل به الفيل . والذي نراه نحن ان الزبعرى هو من اسماء الكركدن لانه من القوازب كالتماسيح والكركدنات وله قرن واحد ، كما ينقل عن الزبعرى انه يحمل بقرنه الفيل . ولا عجب .

٢٣ — الزَباد

من المعلوم ان الزباد ، كسحاب ، مادة دهنية حيوانية عطرة تكون في نافجة تكون في أعلى مخرج حيوان سمي بهذا الاسم عينه[1] . وكأنهم قالوا في بدء الأمر : دابة الزباد أو سنور الزباد ، او ذو الزباد ، او نحو ذلك ، ثم اجتزأوا بالمضاف اليه ، محتفظين به . ونبذوا عنهم المضاف ، من باب الخفة في الكلام ، كما وقع لهم مثل ذلك في كثير من تعابيرهم . وقد نقل الفرنسيون الى لغتهم هذه الكلمة بقولهم

(١) ذهب بعضهم الى ان (الزباد) هو اسم الحيوان ، الذي تكون فيه نافجة الدهن العطر . والذي عندنا أنه بالعكس ، لان الزباد مشتقة من أحرف (الزُبد) لما بين اللفظين من المشابهة والمجانسة وفي المادة نفسها ، فكلاهما دهن حيواني : الواحد عطر والآخر غير عطر .

Civette وهي تدل على المادة الدهنية وعلى الدويبة أيضاً · أما الانكليز فسموا Civet او Civet cat أي سنور الزباد · وسماه العلماء Viverra civetta ·

وخصّ الانكليز والفرنسيون هذا الاسم بالزباد الذي يعيش في شمالي افريقية وشمالي آسية · واصطلح كل من الانكليز والفرنسيين اصطلاحاً يقارب هذا الرسم اي Zibeth وخصوه بالزباد الذي يوجد في الهند وجنوبي الصين وشرقي الهند وسموه باللغة العلمية Viverra zibetha ومن اسمائه عند الانكليز indian cat أو Asiatic

أما نحن فيجب علينا ان نسمي الأول الزباد الافريقي والثاني الزباد الآسوي او الهندي لتمييز الواحد عن الآخر ·

وانما ذكرنا هذه المصطلحات للمطالع ليتبين له كيف ان العلماء نقلوا اللفظ الواحد العربي الى لغتهم بصورتين مختلفتين ، ومثل ذلك عملوا في اصطلاحهم العلمي لكي لا يقع الوهم في الأوضاع العلمية اهـ ·

وقد سبقهم الى مثل هذا العمل العرب ، فانهم كثيراً ما ميزوا كلمة عن كلمة بتغيير احدى الحركات ، او بابدال حرف من أحرف الكلمة منعاً لكل خلط أو خبط ، وتمييزاً لمعنى عن معنىً بمبنى عن مبنىً ·

فقد قالوا مثلاً : تلاءم الشيء الفاسد تلاؤماً ، وتلاحم تلاحماً : اذا تلاءم بعد ان كان متبايناً — وقالوا : المُلحم بضم الميم وكسر الحاء : مطعم اللحم · والملحم بفتح الحاء من يُطعم اللحم ويرزق منه — وقالوا العلاقة ، بفتح العين ما تعلق به الرجل من صناعة ومال وزوجة وولد · وبالكسر في السوط ونحوه ، وبعبارة أخرى : العلاقة بالفتح في المعاني ، والعلاقة بالكسر في الأمور المحسوسة كعلاقة السوط والقدر ونحوهما :

وفي اللغة العدنانية من هذه النظائر ما لا يعدّ ولا يحصى ، وهناك المثلثات ، وهي التي تختلف حركاتها بين الضم والفتح والكسر ، ولكل حركة معنى يختلف عن معنى اللفظ الآخر · وهذا بحث لا ينزف ماء بئره · فاجتزأنا بهذا البرض عن العدّ ·

(بغداد) الاب انستاس ماري الكرملي

القرآن

بحث علمي تاريخي اثري

١ — ما هو القرآن

القرآن عَلَمٌ للكتاب الذي يقدّسه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . ويتبركون به ويتبعون سننه وفرائضه . ويعتقدون اعتقاداً راسخاً انه أُنزل على النبيّ العربيّ محمد بن عبد الله وأنه آخر الكتب السماوية نزولاً [١] و « انه لقرآن كريم . في كتابٍ مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيلٌ من ربّ العالمين » [٢] .

سُمي القرآن من القراءة . وسمي « كتاباً » و « فرقاناً » على ما ورد في سورة آل عمران : « نزّل عليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل . من قبلُ هدًى للناس وأنزل الفرقان » [٣] .

ولما بويع عثمان بن عفان (٢٣ — ٣٥ هـ) ثالث الخلفاء الراشدين بلغه ان المسلمين اختلفوا في قراءة القرآن قدر اختلافهم في لهجاتهم . فلم يَرَ الا ان يجمع آياته ويضبطها بلغة قريش التي نزل بها القرآن . ثم كتب أربع نسخٍ منه بعث الى كلّ مصرٍ من الأمصار الاسلامية بنسخةٍ . وأمر الناس ان ينقلوا عنها مصاحفهم وأوعز بإحراق كلّ ما خالفها من المصاحف .

ولم يتسمح المسلمون في نقل القرآن الى لغات البلاد التي دوّخوها أو الى غيرها من اللغات بل تمسكوا تمسكاً متيناً بعقيدتهم المستندة الى ما ورد غير مرّة في الكتاب كقوله : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » [٤] . وكقوله : « قرآناً عربياً غير ذي عِوَج » [٥] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي : مجلد ٧ صفحة ٦٦٦ (٢) القرآن : سورة الواقعة ٧٧ — ٨٠ (٣) القرآن : سورة آل عمران ٣ — ٤ (٤) القرآن : سورة يوسف ٢ (٥) القرآن : سورة الزمر ٢٨

٢ – توحيد القرآن لشتات الأُمة العربية

جاء القرآن والعرب فِرَقٌ متنابذة وشِيعٌ متحاقدة تكفر كلٌّ منها سائر الفرق وتناهضها وتضمر لها السوء والشرّ . وناهيك ان العرب ظلوا مئات الأعوام على حالٍ واحدة من الخشونة والبداوة لايتحولون عنها ولا يسأمون منها . فكانوا ممزّقين طرائق ومفرّقين حزائق في أجدب المفاوز بل في أبعدها عن النظام والعمران والثقافة . وكانوا مختلفين في مواطنهم ولهجاتهم وعاداتهم لاتضمهم رابطة سياسية ولا جامعة دينية أو قومية .

ما كاد يظهر الاسلام حتى أحدث القرآن في أنصاره وأتباعه انقلاباً غريباً عجيباً لم يكونوا يتوقعونه على الاطلاق . فبعد ما كانوا متسكعين في دياجير الجهل منقسمين الى قبائل وبطون لايعرفون من الشؤون الاجتماعية شيئاً دأبهم الغزو والنهب والقتل وأخذ الثأر أصبحوا بقوة القرآن أُمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها .

ومن المدهش أنّ الأمة العربية التي كانت قبل الاسلام ذليلةً ضئيلة تحوّلت بعدهُ من الضعف والخمول الى العزّ والبسطة والسلطان . فنهضت نهضة الرئبال واستجمعت قواها حتى تألفت منها دولة منيعة بطشت بدول ذلك العصر كدولة الفرس والرومان واليونان . ولم تلبث ان أحاطت بشعوب تلك الدول تدعوهم الى واحدةٍ من ثلاث : الاسلام او الجزية او الحرب [١] . ولا غرو فان هذه النهضة السريعة حيرت العالم طرّاً وعدّها القوم حادثاً من أعجب حوادث التاريخ .

من المقرّر الثابت أن للقرآن فضلاً كبيراً في تأليف شتات العرب وتوحيدهم مع الأُمم المغلوبة المتباينة في لغتها ودينها وجنسها ووطنها . فكوّن من مجموعها عنصراً جديداً مستقلاً هو العنصر العربي . ومن المقرر الثابت أيضاً انه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى في الخافقين . ولولا القرآن لما أقبل أُلوف الأُلوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها . ولولا القرآن – نعم لولا القرآن – لظلّ أهل كلّ بلدٍ من البلدان التي دوّخها العرب ينطقون بلهجةٍ يستعجمها أهلُ البلد الآخر .

(١) دائرة معارف القرن العشرين مجلد ٧ صفحة ٦٨١

فالقرآن عزّز الجامعة العربية وصان عنصرها وضمن سلامتها على توالي الأزمان . ذلك لان الدين الاسلامي فرض على كل مسلم ان يدرسه ويحفظه ويجوّد قراءته قبل أيّ علم من العلوم البشرية . هكذا حُفظ التفاهم بالعربية بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب في الحجاز واليمن والعراق وحضرموت ومصر وفلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين . وفي طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وزنجبار والسودان وهلمّ جراً .

وما ان تقهقرت الدول العربية وتقهقرت معها الحضارة الاسلامية القديمة حتى خُشي ان تندثر لغة تلك الدول وتندمج في لغة الشعوب المغلوبة على أمرها . غير ان اللغة العربية استعصت على نكبات الدهر ورسخت رسوخ الجبال الرواسي خلافاً لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا في العرب بعد الاسلام كالروم والسريان والاقباط والانباط والصابئة واليهود وغيرهم .

٣ — تأثير القرآن في المسلمين العرب وغير العرب

من روائع تأثير القرآن ان أئمة المسلمين من غير العرب يرتلونه بلغته العربية ويحافظون على تجويده ويشرحونه لأبناء لغاتهم في أنأى الأمصار . واذا أنعمنا الفكرة في أولئك المسلمين غير العرب ألفينا عددهم يناهز مائتي مليون نسمة وهم منتشرون في أغلب الأقطار شرقاً وغرباً . أعني تركيا وايران وكردستان وكرجستان وافغانستان وبلوخستان . وفي روسيا والبلقان والهند وجاوة والصين واليابان والحبشة وقلب افريقيا وبعض انحاء اوربا واميركا واستراليا .

تلك مزية تفرّد بها القرآن دون سواه من الكتب المنزلة . فالتوراة مثلاً لا يقرأها بلغتها العبرية الا احبار اليهود ونفرٌ ممن تفرّغوا لدرسها . وأما سائر اليهود فان كلاً منهم لا يقرأ التوراة الا بلغة سكان البلاد التي يعيش فيها . وقس عليهم كلّ المسيحيين في انحاء العالم بأسره . فانهم يقرأون الكتاب المقدّس مترجماً الى اللغة الجارية بالاستعمال لدى كلّ شعب او كل ملة منهم . فلا يقرأه بلغاته الاصلية اعني العبرية والسريانية واليونانية الا العلماء فقط وفئة من نصارى الشرق الأدنى وفريق من نصارى الملبار في الهند الانكليزية .

يتضح مما بسطناه ان القرآن هو المصحف الذي جمع كلمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم وأوطانهم · وأحدث انتشاره تأثيراً كبيراً في أخلاق الشعوب التي دانت بالاسلام وفي عقولهم وآرائهم وميولهم · فأدمجوه في كلّ شأن من شؤونهم دينية ودنيوية · واتخذوه مصدراً لقضائهم ودعامةً لمنازعهم السياسية وسائر أمورهم حتى طعامهم وشرابهم وكسوتهم وعيشتهم المنزلية واعمالهم التجارية ·

وتتجلى الصبغة الدينية القرآنية في مؤلفي الاسلام ومؤلفاتهم ولئن كتبوا في مواضيع لا صلة لها بالدين · تشهد على ذلك مصنفاتهم في الفلاحة والفلك والهندسة والجبر والكيمياء والطبّ والفلسفه والتاريخ حتى الصرف والنحو ·

وخلاصة القول انّ للقرآن في لغته العربية البحتة تأثيراً عميقاً جداً، وقد حرص المسلمون بقوّة القرآن وما برحوا يحرصون على سُننه وفرائضه ونوافله في كلياتها وجزئياتها · واعتنوا غاية الاعتناء بضبط سوره وآياته وأجزائه وأحزابه والفاظه وحروفه ونقاطه وحركاته وسكناته · وتوافروا على استقصاء حقائقه ومجازاته وتصاريحه وكناياته ودقائقه ونكاته ·

٤ — اجماع الخلفاء والملوك والمسلمين كافةً على تعظيم القرآن

أجمع المسلمون قاطبةً منذ فجر الاسلام على إجلال القرآن · وبالغوا في تكريمه وعنوا بصيانته عنايةً ليس بعدها عناية · فدوّنوه على صفائح من ذهب وفضة وعاج وآبنس · وطرّزوه بأسلاكٍ من قصبٍ على حرير أو قطيفة أو ديباج او ارجوان · ونقشوا آياته على أعمدة المعابد والقصور وعلى جدران المكتبات والدواوين · وعلى الأمتعة والآنية والأسلحة والرايات · وتفننوا في كتابته بأشكال الأقلام والخطوط وأنواع المداد والكاغد وألوان النقوش والزخارف · وعلقوه على صدورهم تيمّناً يتقون به كوارث الدهر ويتعوّذون به من هجمات العدوّ · واتخذوا له قماطر فاخرة وأصونةً نفيسة · واستصنعوا لحفظه من التلف والدثور خزائن بديعة · ووضعوه في محاريب الجوامع ورفعوه على كراسيّ رُصعت بحجارة كريمة وجواهر يتيمة ·

وتنافس المسلمون في إجادة كتابة القرآن تنافُسَ غيرهم من الشعوب في فن التصوير · ومرّ بنا ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان كتب أربعة مصاحف بعث بها

الى الآفاق . واقتفى أثره الحجاج بن يوسف الثقفي فكتب نسخاً من المصحف أهداها الى عواصم المملكة[1] . وتعهد الرحالة ابن بطوطة المقصورة العظمى التي يؤمها إمام الشافعية في قِبلة المسجد الأموي . فشاهد في ركنها الشرقي ازاء المحراب خزانة كبيرة يزينها المصحف الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان الى الشام . ولم تكن تُفتح تلك الخزانة الا كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثمه ايّ ازدحام[2] .

وحوى مِنبر جامع قرطبة بالأندلس مصحفاً من مصاحف الخليفة عثمان . وقد وُشح بحلة ذهبية رُصعت بالدر والياقوت وغُشي بالديباج . ورُكز هذا المصحف على كرسي من العود الرطب مطعم بمسامير من ذهب[3] . وفي السنة ٥٥٢ للهجرة نُقل المصحف من قرطبة الى مراكش بمجالي التكريم والتعظيم . وظلّ في حوزة السلاطين الموحدين حتى قُتل السعيد عليُّ بن ادريس عام ٦٤٥ للهجرة . وكان هذا السلطان قد نقله معه الى تلمسان فنهب المصحف هناك . ثم عثر عليه ملوك بني عبد الواد وظلوا محتفظين به ريثما افتتح إفريقية السلطان ابو الحسن المريني . فاستولى على المصحف وحمله معه في رحلاته وفتوحاته تيمناً . واتفق انه لما قفل بحراً عام ٧٥٠ للهجرة من تونس الى المغرب هاجت عاصفة شديدة أغرقت المراكب بمن فيها من نفوس وما فيها من نفائس . وأخصها وأنفسها مصحف الخليفة عثمان فكان ذلك آخر العهد به[4] .

واشتملت خزائن كتب المسجد الاقصى بالقدس الشريف على أصف مصحف أثري كتبه بالخط الكوفي محمد بن الحسن بن الحسين ابن بنت رسول الله .

وضمت خزانة كتب النجف الأشرف عند ضريح الإمام علي بن أبي طالب نسخة من القرآن خطها ابنه الحسين[5] . وفي السنة ١٩٤٠ سعى السرداد طاهر زين الدين أحد أغنياء المسلمين في الهند لتجديد هذا الضريح ، فاستصنع له خشباً من الآبنس رُصع بخمسين رطلاً من الذهب الابريز وخمسة عشر رطلاً من الفضة الخالصة .

(١) الروزنامة التونسية : سنة ١٣٢١ هـ صفحة ١٤٠ (٢) رحلة ابن بطوطة : جزء ١ صفحة ٥٢
(٣) نفح الطيب : للمقري : مجلد ١ صفحة ٣٥٦ (٤) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : تأليف احمد بن خالد الناصري : جزء ١ صفحة ١٥٠ (٥) مجلة المقتبس في دمشق : مجلد ٧ صفحة ٩٢٤

وجعل ارتفاعه احدى عشرة قدماً وقطره عشرين قدماً · وبلغ ما أنفقه هذا عليه السردار السخي اثنين واربعين مليوناً من الجنيهات الاسترليفية [١] ·

واعتاد ابراهيم بن يمين الدولة سلطان بخارا ان يبعث كل عام الى مكة المكرمة بنسخة من القرآن يكتبها بخط يده · وذكر المقري ان ابا الحسن المريني سلطان افريقية نسخ بيده ثلاثة مصاحف أتحف بها المساجد الثلاثة التي تُشدّ الرحال اليها في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة والقدس الشريف · وسطر المريني نفسه الختمات الشريفة بقلمه المُجيد المُجدي [٢] · ثم اشترى عقارات بالشام قيمتها عشرة آلاف دينار حبسها على الفقراء وعلى خزنة المصاحف [٣] ·

وقرأنا وصفاً لقرآنٍ مستبدعٍ خطه بيده السلطان ابو الحسن المريني المشار اليه وحبسه على الحرم الشريف · وفيه ان هذا السلطان كلف القراء ليضبطوه وأمر الورّاقين ان ينمقوه ويذهبوه · واستصنع له صِواناً ظريفاً من الآبنس والعاج والصندل دبجه بصفائح ذهبية مرصعة بالجواهر والياقوت · وجعل ذلك المصحف في قمطر من جلدٍ فاخر وُشي بخطوط ذهبية وغُلف بوشاحٍ ارجواني [٤] ·

وشاهدنا نحن في دار الكتب المصرية مصحفاً قديم العهد قرأنا في آخره انه « بخط الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن الخليفة علي رضي الله عنهم » واطلعنا في تلك الدار عينها على مصحف كُتب برسم « الجايتو » سلطان المغول (٧٠٣ — ٧١٦ ﻫ) [٥] · في مطلع القرن الثامن للهجرة ·

ومن نفائس دار الكتب المصرية أيضاً مصحف محمد بك ابي الذهب والي مصر وأحد زعماء المماليك في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة · كان هذا المصحف محفوظاً في جامع ابي الذهب ازاء الجامع الازهر بالقاهرة ثم ضاع واحتجب عن الأبصار · وفي السنة سبع وستين وثمانمائة بعد الالف ارتحل الخديوي اسمعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) الى باريس فعثر على هذا المصحف النفيس في متحف اللوفر · واتفق مع أولي الأمر

(١) جريدة البشير : مجلد ٧٠ عدد ٦٠٥٩ سنة ١٩٢٠ (٢) نفح الطيب : مجلد ٢ صفحة ٥٢٧

(٣) تاريخ ابي الفداء : جزء ٤ صفحة ١٤٩ (٤) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى : جزء ٢ صفحة ٦٢ — ٦٣ (٥) نبذة عن دار الكتب المصرية لسنة ١٩٣٩ صفحة ٣٦

الفرنسيين على إعادته الى مركزه في مصر · وقد نُسخ المصحف المشار اليه بخط مغربي ويعد آية من الآيات بجمال فنه ودقة صنعه وجودة حبره وقرطاسه ·

وامتاز غياث الدين ملك الغورية بخطه الظريف فنسخ مصاحف جمة حبسها على المدارس التي شيدها[1] · وكان السلطان علاء الدين يكتب المصاحف بخطه الحسن ويقفها على المساجد[2] ·

وهناك مصاحف أثرية عديدة محفوظة بكل تعظيم واجلال في صروح السلاطين والأمراء وأقطاب المسلمين لا يتسع الوقت لوصفها · وحسبنا الاشارة الى ما احتوته من تلك المصاحف النادرة قصورُ خلفاء بني عثمان وملوك ايران وافغانستان وخزائن نظام حيدر آباد في الهند · نضيف اليها مكتبات الأئمة وهواة الكتب وغلاة الآثار في مختلف الأصقاع والأمصار ·

٥ — نسّاخ القرآن ومنمّقوه

روى التاريخ اسماء رهط عظيم من الخطاطين اشتهروا بنسخ المصاحف في العصور الخالية · بينهم سلاطين وخلفاء وأمراء ووزراء وأئمة طبق الآفاق صيتهم · فما عدا من ألمعنا بأسمائهم يطيب لنا ان نذكر سلطان المغرب ابن عبد الحق الذي نسخ ثلاثة مصاحف على رقّ غزال · ولم يزل احدها محفوظاً في خزائن المسجد الأقصى بالقدس الشريف · وهو مجلد طبقاً للفن المراكشي ومكنوز في صندوقة مرصعة بالميناء على الطراز الأندلسي ·

واشتهر عن السلطان ناصر الدين ملك الهند والسند المعروف بصلاحه وتقواه انه كان ينسخ المصاحف ويبيعها ويقتات بأثمانها[3] · واثبت ابن بطوطة انه وقف على مصحف محكم الكتابة نسخة السلطان المشار اليه بخطه المتقن[4] ·

وتفرّد بنسخ المصاحف علي بن محمد بن مقلة (٣٢٨ هـ) وزير الخليفة العباسي المقتدر

---

(١) تاريخ أبي الفداء جزء ٣ صفحة ١٠٤ (٢) أخبار الدول لابي العباس القرماني: صفحة ٢٨٣

(٣) يذكرنا هذا الخبر بما رواه التاريخ عن ثئودوسيوس الكبير ملك الروم [٣٧٩ — ٣٩٥ م] انه كان في أثناء الفراغ من شؤون المملكة يكبّ في غرفته على نساخة الكتب ثم يبيعها وينفق اثمانها على معيشته الخاصة · (٤) رحلة ابن بطوطة : جزء ٢ صفحة ٢١

بالله · فقد وجدوا له بخطه الرائع مائة مصحف في مكتبة ابي نصر شابور (٣٢٦ – ٤١٠ هـ) ابن اردشير في الكرخ ببغداد[١] · وفاق ابن مقلة في نسخ المصاحف ابو عبد الله الناسخ · وقد طالعنا عنه في «تاج العروس» انه كتب بخطه الف مصحف · ونسج على منوالها كثير من قدماء الخطاطين كأبي عمر بن قدامة (٥٢٨ – ٦٠٨ هـ) الذي نسخ الكتب الوافرة ولا سيما المصاحف ·

وامتاز بنسخ المصاحف وزخرفتها الشيخ محمد نعسان الوردي الحموي في القرن الثالث عشر للهجرة · وأثبت لنا ابن حفيده ان عدد ما نسخه منها أربى على مائة مصحف وجاراه في ذلك ابنه الشيخ مصطفى نعسان وقد أحرز شهرةً واسعةً في تنميق المصاحف ونساخة المصنفات القديمة ·

ولم يكُ حظ النساء الخطاطات بأقل من حظ الرجال الخطاطين في تحبير المصاحف · فقد طالعنا في كتاب «مرآة الأدوار» أن الخطاطة «بادشاه خاتون» نسخت من المصاحف الشريفة ما لا نظير له ·

وذكر ابن فياض في تاريخه: «انه كان بالربض الشرقي في قرطبة بالأندلس مائة وسبعون امرأة يكتبن كلهن المصاحف بالخط الكوفي» · فاذا كان ذلك كذلك في ربض واحد فكم كان من النساء الكاتبات في جميع أرباض قرطبة التي بلغ عددها ثمانية وعشرين رَبَضاً[٢] ·

ويشاهد زائر مكتبة القيروان الشهيرة في زماننا مصاحف قرآنية مزدانة بالزخارف مطعمةً بالذهب نمقها انامل فتياتٍ مسلماتٍ في العصور الغابرة · وكانت تلك الفتيات يتنافسن في تجويد الكتابة وتزويقها ويختمن كل مصحف بهذه العبارة: «هذا من صُنع وقلم فلانة بنت فلان قدمته هدية لخطيبها فلان بمناسبة الاحتفال بزواجها»[٣] · الى غير ذلك من نوادر منمقي المصاحف ومحبريها رجالاً ونساءً ·

(يتبع) فيليب دي طرازي

(١) معجم البلدان لياقوت الرومي: جزء ٢ صفحة ٢٤٢ والتاريخ الكامل لابن الأثير: جزء ١٠ صفحة ٣
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: مجلد ٢ سنة ١٩٢٢ صفحة ٢٦٥ (٣) المكتبات العربية في المملكة التونسية: مخطوطة بقلم البشير الفورتي: صفحة ١١ وهي في خزانة كتبنا ·

قلعة شقيف ارنون

هي احدى قلاع جبل عاملة وحصونها الكثيرة التي درس جلها ولم يبق ماثلاً منها مصابراً عبر الدهر ومَثلات الأيام غير قليل يحدث عن ماضيه القديم الحافل بحوادث الغزاة والفاتحين من مختلف الأمم والشعوب

أما الباقي من هذا القليل ومنه قلعة تبنين على عشرين كيلو متراً من شرقي صور وسواها من بقايا القلاع والحصون فلا نتعرض للبحث عنه وموضوع كلامنا قلعة شقيف ارنون من امنع قلاع البلاد الشامية واكثرها بعد قلعة بعلبك تداولا في كلمات المؤرخين القدماء والمتأخرين ولا تزال لها بقية تنبيء عن عظمتها تملأ العين ايناقاً وابداعاً والقلب اكباراً واعجاباً

أما جبل عاملة القائمة هذه القلعة الحصينة في القسم الشمالي منه الذي يفصله عن القسم الجنوبي نهر الليطاني المعروف عند جغرافيي العرب بنهر ليطا والمتاخم لشمالي فلسطين منتهى حدوده الجنوبية ونهر الاولى (الفراديس) منتهى حده الشمالي وما بينهما شرقاً وغرباً

فقد كان الى عهد اليعقوبي المتوفى ما بعد التسعين بعد المائتين من الهجرة يعد من جند دمشق ومن كوره فقد جاء في كتابه (البلدان) .. وجبل الجليل (وهو احد اسماء جبل عاملة) وأهلها قوم من عاملة ومن بعض اقسامه صور وقدس كانا يعدان من جند الاردن والقسم الجنوبي من هذا الجبل هو من الجليل العليا وافتتحه مع الكور التي افتتحت من كور الشام ابو عبيدة بن الجراح الصحابي الجليل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة للهجرة . ومن كور دمشق صيدا وهي من جبل عامل وقد ذكرها اليعقوبي ولبنان بعد ذكر كورة جبل عاملة وفي ذلك ما يشعر انها كانت عملاً مستقلاً

طول قلعة الشقيف وعرضها حسب سمت لندن غرينوش

هي عن هاجرة لندن غرينوش في طول شرقي ٤٥ ثا ، ٢٨ ث ، ٣٥ د وعرض شمالي ٢٢ ، ٣٣

قياس ارتفاعها عن سطح البحر

اختلف في قياس ارتفاعها من ٦٧٠ متراً الى ٧٠٠ متر والقياس الأول هو قياس السائح كيران الفرنسي وبعض المصورات

موقعها

واقعة على هضبة مرتفعة يصعد اليها من قرية ارنون على بعد عشر دقائق منها غرباً شمالياً وهي من النبطية قاعدة الشقيف واحدى حواضر جبل عاملة على بعد سبعة كيلو مترات والنبطية واقعة في الجنوب عن صيدا على بعد ثلاثين كيلو متراً وتحت القلعة الى الشرق وادي الليطاني العميق والجانب الشرقي من تلك الهضبة قائم على خط يكاد يكون مستوياً بعيد المهوى يرتفع عن الليطاني ١٥٠٠ قدم وارتفاع قمة الهضبة عن سطح البحر ٢٢٠٥ أقدام وهي اعلى جميع الهضاب والتلال المجاورة له ماعدا جبل الريحان وجبال هونين

ما كتبه عنها علماء تقويم البلدان

في معجم البلدان لياقوت الحموي : شقيف ارنون بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وفاء وبعد الراء نون ساكنة ثم واو ساكنة ونون أخرى والشقيف كالكهف أضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل .. وقال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف اليه ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة في الصخر وبعضه سور . وهو في غاية الحصانة . وعلى القرب منه شقيف آخر يعرف شقيف تيرون بكسر التاء المثناة الى ان قال : وهي قلعة من جهة الأردن على مسافة يوم من صفد في سمت الشمال .. قال في مسالك الأبصار وليست من بلاد صفد على انه قد عدها في العمل العاشر من اعمال صفد احدى قواعد المملكة الشامية كما نقل ذلك عنه القلقشندي في صبحه . وقال القلقشندي عند ذكره لجبال الشام ومنها جبل عاملة وهو جبل ممتد في شرقي

ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور وعليه شقيف ارنون نزله بنو عاملة بن سبأ من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم فعرف بهم

اسماؤهـا

اذا كانت كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى فقد حازت قلعة الشقيف هذا الشرف بكثرة اسمائها فهي عند جغرافيي العرب تعرف بحصن ارنون . وشقيف ارنون . والشقيف الكبير . وقلعة الشقيف . والشقيف ويسميها الفرنج بلفورت او بوفرت ومعناهما الحصن الجميل

بُناتها وتاريخ بنائها

أما بناتها وتاريخ بنائها فمختلف فيهما اختلافاً عظيماً وكل من كتب عنهما من المؤرخين فيكاد يكون مستندهم محض الظن والاستنتاج شأنهم في كل ما كتبوا عنه من آثار القدماء في هذه الديار وغيرها كقلعة بعلبك وتدمر وسواهما مما لم يسجل بانوه زمن بنائه ومن بناه او انهم سجلوهما وعفى من خلفها اثرهما على ان ذلك لم يكن سبباً لاحجام المولعين بالبحث عن المقارنة والاستنتاج للوصول الى ما تطمئن اليه النفس من امثال هذا البحث

والباحث عن تاريخ قلعة الشقيف وعن بناتها الأولين لا يطمئن الى قول من يذهب الى ان بناتها من الصليبيين وان كان مما لا ينازع فيه ان لهم فيها بعض المنشئات او انهم بنوا جديدهم على قديمها الذي لم يندرس ولو كان الصليبيون بناتها وهم في عهد استفحال التدوين لكليات الأحداث وجزئياتها من العرب ان اغفل الصليبيون تدوين تاريخها لما كان أغفله مؤرخو العرب

أما القول بأن بانيها ارنلد وان إسم ارنون مقطع من اسمه فهو مما لا وزن له بعد ان كان اسم ارنون مما ورد في الكتاب المقدس وهو اسم نهر او ماء يخرج من جبل جلعاد قرب قطرانة وكان يفصل بين ارض موآب وارض الاموريين ويعرف أيضاً باسم الموجب ويروي الامامية حديثاً مرسلاً نقله الشيخ محمد الحر العاملي من اعيان علماء المائة الحادية عشرة للهجرة في كتابه "أمل الآمل حين وصف

جعفر بن محمد الصادق قوماً من الشيعة وسئل عن مكان وجودهم قال : بلدة بالشام : قيل يابن رسول الله ان اعمال الشام متسعة قال : بلدة بأعمال الشقيف ارنون وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحر واوطئة الجبال وهذا الامام توفي سنة ١٤٨ للهجرة قبل الغزوات الصليبية بـ (٣٥٠) سنة ونيف

ومثل هذا القول في البطلان قول ياقوت سمي شقيف ارنون باسم رجل اما رومي واما افرنجي وان اسم ارنون سرياني او عبراني ولم يطلق هذا الاسم على رجل بل أطلق على نهر وعلى مسميات اخرى ولعل الاسرائيليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على هذه القلعة او على موقعها يوم وقعت في سهم اشير من الاسباط

يقول كيران أما مؤسسها الأول فهو مجهول لنا · وأما ما بناه الصليبيون فيختلف في شكله عما بناه غيرهم ولهذا لا يصعب تمييزه · ولا ريب في ان بناءها كان قبل أيام الصليبيين بمدة مديدة الا اننا لم نقف على ذكر لها في التاريخ قبل القرن الثاني عشر للميلاد · ولا يبعد انه كان بعد تملك الرومانيين او البزيطيين سورية وربما كان قبل تلك الأيام أيضاً وقد ذكرها مؤرخو الحروب الصليبية الفرنسيون مراراً باسم بلفرت او بوفرت الا انهم لم يتعرضوا لذكر تاريخ بنائها ولو كانوا هم البانين لها لما سكتوا عنه · ولا يعلم بالتحقيق الذين بنوها أنصارى هم أم مسلمون · ورجح المقتطف ان بناتها الاولين من الرومان بعد الميلاد ويزعم بعضهم انها من بناء الصليبيين وان فيها بناء فينيقياً قديماً

اما دعوى ان بناتها من الصليبيين فيكفي في دفعها مضافاً الى ما سردناه من الأقوال وما استنتجناه من النتائج انهم لم يؤرخوا ذلك ولا ادعوه ويرجع قديم بنائها على الراجح وعلى اختلاف كيفية البناء في العهد الصليبي عن كيفية البناء انها اما من بناء الاسرائيليين ويؤيده التسمية بارنون وبوقوع مكانها في سهم اشير من الأسباط واما من بناء الفينيقيين وقد كانت في حكمهم وفي البلاد التي غلبوا عليها واما من بناء الرومانيين او البيزنطيين وكلاهما قد امتلك بلاد الشام وهي قسم من أقسامها

التعريف بقلعة الشقيف ووصف ابنيتها ومناظرها

لم نرَ بين مؤرخي العرب وجغرافييهم من وصف هذه القلعة الشماء وصفاً ممتعاً معرفاً بعظمتها وجل ما كتبوه ما سبق ذكره آنفاً وهو لم يعرض فيه الى التعريف بأبنيتها الفخمة وأوضاعها الهندسية المحكمة وما اشتملت عليه من فن عقود الأبنية أحد الفنون التي كان للعرب بها فضل المعرفة واذا عرفت ان من مرافقي السلطان صلاح الدين الأيوبي أمثال القاضي الفاضل وهو كاتب ذلك العصر والعماد الاصفهاني وهو من أئمة الانشاء والبلاغة فيه وابن شداد وهو الثقة العدل وعرفت انهم كانوا يحصون عليه انفاسه ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة من اعماله وحروبه ولا حديثاً من أحاديثه الا رووه فكيف اجمعوا عن وصف هذه القلعة والاشادة بمحاسنها والتنويه بعظمتها التي تستثير كامن القرائح وتدع العي بليغاً والمفحم شاعراً وما كان من جاء بعدهم الا طابعاً على غرارهم ولعل السر في هذا الاحجام منع الغالبين عليها كتاب زمانهم من ذلك لما فيه من دلالة العدو على عوراتها وما يعد له من التمكين من منازلتها ومحاصرتها ومهما يكن من أمر هذا الاحجام والسكوت فانا لم نجد لها وصفاً من سياح الفرنج الذين كثر غشيانهم البلاد من عهد الأمير فخر الدين حتى ولا من فولتاي الذي زار هذه الديار في عهد احمد باشا الجزار وكتب عنها رحلة مطولة جامعة ولعلها كانت في تلك الحقبة وهي في حكم امرائها العامليين الاقطاعيين وهم لم يمكنوا له من زيارتها وهي تجمع اسرار قوتهم الحربية وهم واعداؤهم الكثيرون من رجالات الدولة والأمراء المجاورين في نضال مستمر وان ما كتب عنها لا يمتد العهد به على ما هو المظنون الى ما يجاوز اواسط القرن التاسع عشر الميلادي وهو العهد الذي زار فيه بلاد الشام السائح الفرنسي كيران ولعله هو أول من كتب في وصفها والتعريف بها وهذا تعريب ما كتبه بشيء من التصرف

لهذه القلعة مدخل من الجنوب وشكلها مثلث الزوايا وقياسها ١٦٠ متراً طولاً و ١٠٠ عرضاً تقريباً تحيط بجوانبها آبار محفورة في الصخر ويحميها من الشرق مجرى نهر كبير يسمى نهر الليطاني ينحدر على عدة امتار من حضيضها وفي الجنوب المنفصل

عنها حوض للماء محفور في الصخر وفي الغرب منها صهاريج كلها محفورة في الصخر الصلد مسقوفة بعقود حجرية وفي الشمال منها حوض بعضه منحوت من الصخر وبعضه مبني وجدرانها المحيطة بها منحدرة وفي الداخل من القلعة آبار وأحواض كثيرة كان يجتمع فيها من مياه المطر ما يسد اعواز المحاصرين وهو يبطل ما يتناقله بعضهم من ان في القلعة الى نهر الليطاني نفقاً كان ينقل منه ماء النهر الى القلعة

وهي قسمان قسم منخفض تحده من الشرق هضبة الليطاني وقسم مرتفع مبني على قمة الهضبة على صفحة من الصخر ولا تزال قائمة فيها ابراج من القدم تميل ميلاً عمودياً · وفي القلعة ابهاء (صالات) وحوانيت وغرف متصلة متلاصقة يفصل بينها ممر ضيق مسقف بعقود · وفيها طبقتان ببناء مختلف يستدل منه على قدمها والمتهدم منها نحو ثلاثة ارباعها والقسم المرتفع الممتد الى الجهة الغربية تظهر فيه من الجهة الجنوبية بقايا برجين جميلين مستديرين مبنيين بحجارة كبيرة قائمين على حائط منحدر مبني بحجارة صقيلة يصعب تسلقها · والجهة الغربية عبارة عن جدار عال متناه في الغلظ وركائزه السفلى قائمة على قاعدة من الصخر الطبيعي وهي منضدة من حجارة ضخمة غالبها منحوت واما السافات (المداميك) العليا فهي أصغر من السفلى مما يستدل منه انها حديثة البناء وفيها درج محفور في الصخر متصل بعضه ببعض

وفي دائرة المعارف للبستاني ·· وفي الطريق من ارنون الى القلعة بركة كبيرة متينة البناء واقعة على سفح التل وبالقرب منها آثار قرية كانت تابعة للقلعة يحيط بها سور وبرجان مستديران والى الجنوب الغربي منها فسحة من الأرض مستوية يظن انها كانت ميداناً للعساكر (وتسمى الى اليوم الميدان)

ومدخل القلعة الكبير هو من الجهة الجنوبية ولم تزل هناك آثار حوض جميل متصل بالخندق المحفور في حجر صلب في الجهة الغربية وجانب القلعة الجنوبي وليس لباقي جهاتها خندق لان استحالة الوصول اليها من جهة أخرى أغنتها عن ذلك · ثم ان قنة التل ضيقة جداً حتى ان القلعة اعرض منها وكان يدخل اليها على جسر متنقل في جنوبيها · وهناك آثار ابنية يظن انها كانت اصطبلات أقامها الصليبيون ·

وبالقرب من الزاوية الشرقية ابنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها

والقلعة مستطيلة وضيقة جداً بحسب الارض التي بنيت عليها فلا مناسبة بين طولها وعرضها . وأما حجارتها فكلها مربعة الزوايا الا انها ليست بكبيرة كالحجارة في القدس وبعلبك ولا محكمة النحت نظيرها الا انها تشبهها مشابهة عامة ووسط وجهها الخارجي خشن غير منحوت وهي الين من حجارة القدس ولذلك قد أثر فيها الهواء مع تمادي الزمان

وفي القلعة عدة ابراج مربعة بارزة . والى الجهة الجنوبية الغربية منها برج مستدير اساساته مستديرة مائلة ولذلك كله منظرٌ جميل و كان الى شرقي البرج المذكور باب صغير بقنطرة مستديرة من حجارة محكمة النحت ذات نقوش ظريفة وجدران القلعة متينة ومرتفعة وارتفاعها عن الخندق من ٦٠ الى ٨٠ قدماً . وطولها نحو ٨٠٠ قدم وعرضها مختلف لا يتجاوز معظمه ٣٠٠ قدم وكتب عنها بيدكر ووصفها بما لا يزيد على ما ذكر ومع ما في هذا الوصف من الدقة فانه لم يصل الى ما اشتملت عليه من الاسرار ولم يتناول الا ما استطاع الباحث ان يصل اليه ويشاهده وأما ما وراء ذلك فهو مطوي بما فيها من الاحافير التي لم تكشف بعد في ظلمات التراب المتراكم وقد قامت بها في هذه الايام بعض اعمال التنقيب والحفر والاصلاح مما يحمد أثره ولكن لم نقف على ما ظفر به المنقبون مما يلقي الضوء على تاريخها القديم المظلم

بين الاعمال والولايات والنيابات

كانت هذه القلعة تتبع في الادارة سياسة المتغلب على البلاد المجاورة لها من الداخل والساحل فكانت مرة عملاً لبانياس قاعدة وادي التيم واخرى عملاً للقدس . وتارة لصيدا . وطوراً لصفد . وآناً مركزاً لأعمال عظيمة وأحياناً قاعدة لمملكة تنسب اليها (المملكة الشقيفية) وآونة ولاية . وحيناً نيابة . أو محافظة . وقد مرّ انها كانت الى عهد اليعقوبي من اجناد دمشق وكانت تتسع وتضيق رقعة ما يدخل في عملها تبعاً لمقتضيات ادارة الغالب

بين التعمير والتدمير

لم يتعرض مؤرخو العرب لذكر هذه القلعة قبل الحروب الصليبية وفيها قبل عام ٥٨٥ ه ١١٨٩ م ولكن وليم اسقف صور ذكرها قبل هذا التاريخ بعشر سنين . وبعض مؤرخي الفرنج وهو كيران رجع بها الى أبعد من هذا التاريخ حيث قال: انها وقعت في قبضة فولك ملك القدس عام ١١٣٩ م ٥٣٩ ه وعدم ذكرها في غير هذه الحقب لا يدل على انها لم تكن قائمة عامرة في اول امتلاك الصليبيين لها بامتلاك احدى القواعد التي كانت تابعة لها كصيداء وصفد وبانياس وغيرها ولا يستدل من ذلك على انها كانت مستغنية عن الترميم وزيادة التحصين فلا جرم ان ايدي الصليبيين امتدت اليها بعد ان وقعت في قبضتهم بإعادة المتهدم وتجديد الداثر وقام لهم من البناء الجديد ما يتميز عن بنائها الروماني القديم وعن بناء العرب فإن الجهة الغربية كلها مع الزاوية الشمالية والجنوبية الغربية قد بنيت قبل الصليبيين بمدة مستطيلة ومعظم القلعة الآن هو من القسم المذكور وليس فيه من بناء القرون المتوسطة الا آثار قليلة والظاهر ان الصليبيين بنوا اكثر الجهة الشرقية منها ويرى في الوسط كنيسة لاتينية ذات سقف مؤلف من قناطر متقاطعة وبابها الصغير يدخل منه الى الدار الداخلية . وهناك آثار أبنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها وهي كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من المتغلبين وأهم ابنيتها في العهد الروماني ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد أومصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية

افرغ ارناط (ارنلد) همه في تحصينها اثناء الهدنة التي عقدها وصلاح الدين يوم جاءها محاصراً وسلط عليها أحجار المنجنيق من اعالي الهضبة الشرقية المشرفة عليها من ضفة الليطاني الشرقية .. يقول العماد الاصفهاني في الفتح القسي بعد ان ذكر اجتماع ارناط بصلاح الدين وأعطاه مهلة لتسليمها مدة ثلاثة اشهر .. فشرع ارناط في ازالة حصنه . وازالة وهنه . وترميم مستهدمه . وتتميم مستحكمه . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله وفي سنة ١٢٦٠ م ٦٣٧ ه بنى الفرسان الهيكليون القصر الجديد فيها

على ما يظن وهو الذي ترى انقاضه على بعد بضع مئات الامتار في الجهة الجنوبية ·
وقد بقيت بيد الرهبنة الهيكليين الى عام ١٢٦٨ م ٦٦٧ ﻫ حيث استولى عليها بيبرس بعد حصار شديد ثم رممت واقيم فيها عساكر للمحافظة ·· قال كيران استولى بيبرس على محل بلفور وموقعه بين الحصن والقلعة الجديد ويفهم من هذا ان اسم بلفور خاص بهذا المحل او بقرية بناها الفرنسيون بقرب القلعة ·· وفي فوات الوفيات لابن شاكر وكانت الشقيف قلعتين متجاورتين فجمع بيبرس بينهما وبنى بها جامعاً وحماماً ودار نيابة وبرج الظاهرية الذي كان مقابلاً للقلعة والمعروف اسمه وموقعه الى اليوم هو نسبة الى لقبه (الظاهر) اما لأنه أحدث بناءه او لأنه اعاد متهدمه

طوى المؤرخون صفحة تعميرها وتدميرها الى أوائل القرن السابع عشر الميلادي والحادي عشر الهجري وهو القرن الذي نبه فيه امر الأمير فخر الدين المعني وشملت امارته قسماً كبيراً من البلاد الشامية ساحلها وجبلها ممتداً من بلاد صفد جنوبا الى انطاكية شمالاً واستولى على كثير من القلاع والحصون من ضواحي دمشق وتصرف في ثلاثين حصناً كانت قلعة الشقيف في جملتها وذلك قبل ان يوغر صدر الدولة العثمانية عليه ولما تنكر له رجالها اهتم في اعداد العدة للمناضلة وتحصين القلاع والحصون فرمم من بينها هذه القلعة وشحنها بالرجال وآلات الحصار والدفاع وامتنعت على المحاصرين فلم ينالوا منها نيلاً الى ان تقلبت الأحوال بالمعني وكثر مقاوموه من الولاة العثمانيين ومن الوطنيين الاقطاعيين وأحزابهم مما اضطره للخروج من البلاد فقضت مشيئة بعض رجال الدولة بتهديم هذه القلعة وسواها عام ١٠٢٥ﻫ ١٦١٦ م

ثم وقعت هذه القلعة بيد الصعبيين حكام مقاطعة الشقيف فأقام بهـا منهم احمد منصور واحمد فارس فعمرا القلعة وأحدثا فيها بوابة وظلت في يد الصعبيين الى عام ١١٩٥ﻫ ١٧٨٠ حيث انتهى الأمر ببسط الجزار حكمه على بلاد جبل عاملة بعد مقتل ناصيف النصار من آل الصغير وكبير حكام جبل عاملة وحرص الحرص كله على تهديم قلاعه ومن بينها هذه القلعة أما بعد التهديم فلم تطل غير أعاليهـا وبعض ابراجها وأما ما تحتها من الأبنية فلم تكن لتنال او تستطال ويقال ان

الجزار نقل بابها الحديدي الى عكاء والشيخ حسن بن فارس الصعبي نقل الى قرية البابلية من اعمال الشوم قسماً من احجارها الملونة زين بها بعض المباني التي احدثها فيها

تداولهـا بين المتغلبين

انتقلت من الصليبيين الى السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م. ومن اسماعيل ملك دمشق تسلمها مع صفد الفرنسيون سنة ١٢٦٠م ٦٣٧ هـ على ان يكونوا عوناً له على ابن اخيه الملك الصالح ايوب . وفي هذه السنة اشتراها رهبنة الهيكليين وصيدا من بوليانس حاكم صيدا وظلت في أيديهم الى سنة ١٢٦٨م ٦٦٧ هـ وهو العام الذي فيه استولى بيبرس عليها بعد حصار شديد ثم تعاقبت عليها أيدي ملوك مصر والشام ولم تفقد شيئاً من حصانتها من عهد بيبرس الى عام ١٤٠٠ م ٨٠٣ هـ واستمرت الى هذا الحين متماسكة ممتنعة وكانت ملجأ حصيناً للفارين من بلاد الشام يوم جاءها تيمورلنك غازياً . ثم انتهت الى يد الأمير فخر الدين المعني ثم الى حكام البلاد العاملية ثم الى احمد باشا الجزار نهاية محزنة شوهت جمالهـا وحجبت هلالها وأخيراً وفي هذا العهد الى الجمهورية اللبنانية ولعلهـا تحرص عليها وتجلو محاسنها المحجوبة تحت المتردم من ابنيتها من ركام الأحجار والتراب وتبرزها صفحة لامعة متعة انظار السائحين والزائرين يقرأون فيها ما كان لها من عمران زاخر ومجد تالد وحوادث جسام تعاقبت عليها قروناً متطاولة لا يستطاع تحديدها .

سليمان ظاهر

قبر معاوية بن ابي سفيان

تضاربت الأقوال وتعددت الروايات منذ القديم حتى يومنا هذا عن مكان قبر معاوية بن أبي سفيان منهم من جعله في الحائط القبلي من جامع دمشق في دار الإمارة الخضراء • وهو القبر المنسوب اليه في محلة معاوية بجوار قصر آل العظم من جهته الشرقية • ويزعم غيرهم انه في محلة النقاشات جنوب شرقي الجامع الأموي في الزاوية المعروفة بزاوية السنود • ويرجح آخرون انه في أقصى جنوب تربة الباب الصغير حيث هنالك قبر يزار ويتبرك به يعرف بقبر معاوية • ولم نعثر في مظهر هذه القبور على ما يستدل منه على صحة نسبتها او قدمها مما يرجح معه زعم على آخر • وجميع هذه القبور هي حديثة العهد صنعت من تراب وشيد عليها بيوت جديدة بسيطة الا قبر محلة النقاشات فقد شيد عليه قبة لطيفة أيوبية وهنالك من لا يسلم بواحدة من هذه المزاعم ويعتقد تلفيقها ويحكم بفسادها لأن دولة بني العباس قد نبشت قبور بني أمية ثم حرث مكانها وزرع نحواً من مائة عام[1] • فعفت بذلك آثارها وضاعت معها معالمها •

ولكل من هذه المزاعم أنصار يبرهنون عليها بنصوص تاريخية لا غبار عليها لو قبلت على علاتها • وهكذا نجد أنفسنا أمام وثائق وآراء متضاربة متباينة • يصعب معها الأخذ برأي دون سواه اذا لم يدعم مما يؤيد رجحانه •

ان واجب الباحث المدقق ان يرتاب بصحة أصدق الروايات اذا لم تتعدد مصادرها ورواتها • كما انه ليس له ان يهمل بلا تحقيق رواية او يستخف بها مهما بدت ضعيفة أو سخيفة • وليس لأحد ان يؤيد زعماً أو ينفيه ما لم يضع شتى الروايات في ميزان النقد والتمحيص فيأخذ ما رجحت كفته • وهكذا اهتدى المؤرخون والباحثون للحقائق وأصابوا لباب التاريخ الصحيح • وفازوا باستجواب الحوادث التاريخية مع ما فيها من شوائب وتضليل • فحلوا عقدها واوضحوا غوامضها • ان حوادث التاريخ سلسلة

(١) تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٢٦ • تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٦١

حلقات مرتبطة بعضها ببعض غير مستقلة · لها مقدماتها ولها نتائجها · وكل حادث لايستوفي هذا الشرط جاز لنا الحكم بفساده والطعن في صحته · وقد سلكت على هذا النحو في هذا البحث ملتمساً بعث الحقيقة من بين نصوص موثوقة ومزاعم واهية · عساي ان اوفق بفضل ما جمعته من الوثائق المبعثرة وبإرشاد زملائي الأعلام للوصول الى حقيقة تطمئن لها النفوس وتضع حداً لتبلبل الآراء في هذا الشأن

أجمع المؤرخون ان وفاة معاوية كانت بدمشق ودفن فيها · منهم من عين موضع قبره ومنهم من أغفله وأما النصوص القائلة بدفنه في الدار الخضراء فهي الآتية :

ا – قال المسعودي (المتوفى عام ٣٤٥) : توفي معاوية بدمشق سنة ٦٠ وله ثمانون سنة · ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير · وقبره مشهور في تلك المقبرة · وقيل بل في الدار المعروفة بدمشق بالخضراء الى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع ···· وان الذي في مقبرة باب الصغير قبره هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية[١] ·

وقد أضعف الشق الأول من هذا النص الشق الثاني ونفاه · ويتبين منه انه لم يشتهر وقتئذ سوى قبره الكائن في مقبرة الباب الصغير ·

ب – وذكر ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١) ما نصه :

وأما معاوية فمختلف في قبره · فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة (القراء) السبع · والأصح ان قبره خارج باب الصغير[٢] ·

وهذا نص واضح لا يحتمل التأويل ·

ج – ونقل ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤) الرواية الآتية :

« ولا خلاف انه (أي معاوية) توفي بدمشق ······ ثم دفن فقيل بدار الأمارة وهي الخضراء · وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور[٣] » · ويرجح أيضاً هذا النص دفنه في مقابر باب الصغير ·

د – ونقل ابن قاضي شهبة (المتوفى عام ٨٥١) ما نصه :

« واختلف في قبر معاوية فيقال خلف حائط المسجد موضع القراء السبع ·

(١) التنبية والاشراف ص ٢٦١ · (٢) التاريخ الكبير الجلد الاول ص ٣٦٥ ·

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣

والأصح ان قبره خارج باب الصغير والله أعلم » . وهذه العبارة قد نقلت عن ابن عساكر بتحريف طفيف .

هـ — وذكر الحافظ بن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) ما نصه :

« في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام [١] » . وهذا نص متأخر والوحيد الذي انفرد بهذا الزعم .

و — وأورد ابن الحوراني (من أعيان المئة العاشرة) العبارة الآتية :

ومنهم معاوية الذي [دفن] خارج باب الصغير فانه ابو ليلى معاوية الذي تولى نحو أربعين يوماً [١] » . وهذه رواية ضعيفة لا يعرف مصدرها .

ز — وزعم محمود العدوي [من أعيان القرن الثاني عشر] : ان القبر الذي بباب الصغير ويقال له قبر معاوية انما هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية هذا وليس معاوية ابن ابي سفيان . « ويقال ان معاوية بن أبي سفيان مدفون في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج » . وهذا نص متأخر لا يصح الأخذ به .

ويظهر من النصوص المتقدمة ضعف الرواية القائلة بدفن معاوية في دار الامارة الخضراء . وانما أوردها ثقاة المؤرخين كرواية ثانوية أبطلوها ونفوها .

وأما القبر المنسوب لمعاوية المعروف في محلة النقاشات فلم أهتد الى أي نص يشير اليه . وعليه يمكننا الحكم بفساد هذه الرواية الموضوعة . ولعل وجود هذه التربة المجهولة على مقربة من دار الخضراء حمل بعض الناس على نسبتها الى معاوية لا سيما وقد وجدوا في قدم عهد هذه التربه وحسن مظهرها ما يتفق مع مكانة معاوية من أي تربة أخرى غيرها في جوارها .

وأما روايات دفنه في مقبرة الباب الصغير فكثيرة وافرة ومن عصور مختلفة نورد أهمها:

١ — قال المسعودي [المتوفى عام ٣٤٥] ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس [٢] » .

(١) الاشارات الى أماكن الزيارات لابن الحوراني ص ١٠ (٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٥٣

٢ — وقال أيضاً ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير وقبره مشهور في تلك المقبرة [١] » . ويؤكد النصان شهرة القبر في ذاك العصر بأنه في الباب الصغير .

٣ — وذكر مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [المتوفى عام ٥٧١] العبارة الآتية : « قال ابن الاكفاني أراني الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتاني [المتوفى سنة ٤٦٦] قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن أبي سفيان . وفضالة بن عبيد .. وغيرهم وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وأم الدرداء خلفها » . وذكر أيضاً ما نصه : « قال يزيد بن احمد السلمي دفن في مقبرة الباب الصغير من الصحابة والمعروف منهم معاوية . الى ان قال : وأما معاوية فمختلف في قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة [القراء] السبع والأصح ان قبره خارج الباب الصغير [٢] » . وجميعها نصوص واضحة نيرة يؤكد فيها ابن عساكر دفن معاوية في باب الصغير .

٤ — وذكر ابن كثير [المتوفى سنة ٧٤٤] ما نصه : « صلى عليه [اي على معاوية] الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ثم دفن فقيل بدار الامارة وهي الخضراء وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور والله أعلم » . الى ان قال عن رجوع يزيد بن معاوية من حوارين حينما بلغه وفاة والده . « فانتهى [أي يزيد] الى باب توما . فظن الناس انه يدخل منه الى المدينة فأجازه مع السور حتى انتهى الى باب الشرقي فقيل يدخل منه لانه باب خالد . فجازه حتى أتى باب الصغير فعرف الناس انه قاصد قبر أبيه فلما وصل الى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انفتل . فلما خرج من المقبرة أتي بمراكب الخلافة فركب [٣] » .

٥ — وذكر ابن الحوراني [من أعيان القرن العاشر] ما نصه : « منهم [أي من دفن من الصحابة في باب الصغير] معاوية بن صخر بن ابي سفيان الأموي ...... مات بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار ومبني عليه [٤] » .

(١) التنبيه والاشراف ص ٢٦١ (٢) التاريخ الكبير «طبع دمشق» ج ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥
(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ (٤) الاشارات الى أماكن الزيارات ص ١٠

٦ — وذكر ابن عبد الرزاق الدمشقي [المتوفى سنة ١١٣٨] ما يأتي : « مات معاوية بدمشق على الأصح ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار مبني عليه قبة[1] » .

٧ — وذكر مثل ذلك أيضاً البصروي[2]

٨ — وقال احمد العدوي الشهير بالمنيني [المتوفى سنة ١١٧٢] عندما عدد قبور الصحابة في دمشق . « منهم الصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان الأموي ..... في مقبرة الباب الصغير . وفي جانب ضريحه من جهة القبلة قبر الصحابي الجليل ابي الدرداء عويمر الخزرجي ..... وزوجته التابعية ام الدرداء الصغرى قبرها الى جانب قبره وعلى رأس قبره حجر مكتوب عليه اسمه . وكان قبره وقبر زوجته ام الدرداء مكشوفين فبني عليهما السيد محمد المرادي بناء يحيط بهما له باب يفتح للزيارة[3] » .

ان جميع النصوص التي أوردناها هي متسلسلة من القرن الرابع حتى يومنا هذا وتؤكد ان معاوية بن أبي سفيان قد دفن في مقبرة الباب الصغير ولكنها لم تعين الناحية التي دفن فيها ولذلك يتعذر معها تحديد قبره في مقبرة مترامية الأطراف . غير ان ابن عساكر قد خفف عنا العناء وحدد موضع القبر بقوله : داخل الحظيرة مما يلي القبلة . فسهل علينا بذلك البحث وهدانا السبيل القويم . وينطبق هذا التحديد على مكان القبر المنسوب اليوم الى معاوية الواقع في أقصى جنوب مقبرة الباب الصغير أي مما يلي القبلة كما قال ابن عساكر . وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان نشر مقالاً بهذا الموضوع في مجلة مجمعنا العلمي عام ١٩٣٧ ننقل عنه نص الكتابات الموجودة على هذا القبر . الكتابة الأولى هي بخط نسخي من أواخر عهد المماليك نصها : (هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن ابي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله ﷺ) . والكتابة الثانية من العهد العثماني وهي : « هذا مرقد سيدنا معاوية رضي الله عنه . جدد هذا المقام صاحب الخيرات أدنوي الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥[4] » .

لا يعدم المرء باباً للطعن في هذه النصوص وهذه الوثائق لما في بعضها من غموض

---

(١) حدائق الأنعام في فضائل الشام (٢) تحفة الأنام في فضائل الشام (٣) الاعلام في فضائل الشام (٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٥ ص ٤٩٦

وابهام وحداثة عهد . ولكن هنالك وثائق أخرى تزيل الشبهات ويتعذر معها الاشكال والتأويل لما لها من قيمة علمية وقوة استدلال محكمة . فقد عثرنا في تراجم طائفة من الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء على انهم دفنوا في عصور مختلفة في مقبرة باب الصغير في جوار معاوية منهم ابو الدرداء وأم الدرداء والوليد بن عبد الملك وابو الفتح المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠ واحمد بن السلطان نور الدين زنكي المتوفى عام ٥٤٧ والحافظ بن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ وشمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ وابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وشهاب الدين احمد النابلسي المتوفى ٩٠٧ وابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق . وقد عثرنا صدفة في جوار قبر معاوية على ثلاثة من هذه القبور كانت شواهدها مردومة على عمق أمتار . الأولى منها هي شاهدة قبر ابي الدرداء . ظهرت عام ١٩٣٨ على نحو [٢٠] متراً للجنوب الغربي من قبر معاوية . كتب عليها بخط كوفي من القرن الرابع ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله محمد رسول الله . هذا قبر أبي الدرداء صاحب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنه . » وعثر بجوارها على الثانية وهي شاهدة أم الدرداء . وكتابتها من نوع الأولى ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر أم الدرداء أحد اصحاب [كذا] رسول الله صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنها » .

وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان عثر عام ١٩٣٧ لصيق حائط بيت قبر معاوية الجنوبي على قبر عليه شاهدة حديثة العهد كتب عليها اسم ابي الفتح المقدسي وقد اعتمد عليها في مقاله ليثبت بها صحة نسبة هذا القبر الى معاوية . ولكن كتابة هذه الشاهدة الحديثة كانت علة الضعف فيها ولا يمكن للباحث ان يجزم بصحتها . وقد أبت الصدف الا أن تؤيد ما ذهب اليه الأستاذ عز الدين التنوخي . لأنه قد عثرنا بعد أشهر من نشر مقاله على قبر ابي الفتح المقدسي الحقيقي وذلك على نحو [١٥] متراً شرق قبر معاوية وظهر معه على عمق أمتار شاهدة قبره كتب عليها بخط كوفي ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله . عد للقاء الله . محمد رسول الله . هذا قبر الفقيه الزاهد الامام ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي . رحمه الله .

توفي في الحرم سنة تسعين واربعمائة » . وكل ما في هذه الشاهدة يدل على انها شاهدة قبره الأصلية التي عملت عند وفاته . والشواهد الثلاث هي مودوعة الآن في دار الآثار بدمشق .

ويتبين لنا مما تقدم ان مكان قبر معاوية قد اشتهر منذ أقدم عصور التدوين الاسلامي بأنه كان في باب الصغير . (قد عرفه المسعودي في سنة ٣٣٢ ووصفه بأنه عليه « بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس » ولو كان أمر تجديد هذا القبر بعد درسه قريب العهد من المسعودي لما أغفل ذكره . وأثبتت النصوص بأن العامة بقيت تكرم قبر باب الصغير وتزوره منذ ذاك العصر الى يومنا هذا . وهكذا حفظ العوام ما غاب عن الخاصة . ولا عجب بذلك لأن العامة خزائن تحوي الغث والثمين . كم من حقائق تاريخية واجتماعية ولغوية وعلمية تداولتها السنة العامة قروناً واجيالاً قبل ان يؤمن بها الباحثون وقبل ان يهتدوا الى صحة مصادرها . والعرب اسبق الأمم باعتماد الروايات والأخذ بها . حتى بالغوا في أهميتها وجعلوا الاسناد من أهم أسس تدوين علومهم الدينية والتاريخية .

وأما القول ان عبد الله بن علي العباسي قد نبش قبور بني أمية وأحرق عظامهم بالنار فهذه رواية لا يحسن قبولها الا بتحفظ كبير لأنها قابلة النقد والتفنيد . وان ذكرها من القدماء المقدمي[1] وياقوت الحموي[2] وابن الأثير[3] وابن العبري[4] وابو الفداء[5] وابن خلدون[6] وابن الماروني[7] وغيرهم[8] . وان جاز لنا التسليم بصحة هذا الحادث فذلك لا ينفي الحقيقة التي توصلنا اليها . لأن وقوع هذا الحادث لا يمكن ان يغيب عن الأذهان ذكرى قبر معاوية لا سيما في مدينة كدمشق اشتهرت في كل أدوارها بتشيعها لبني أمية ووفائها لعهدهم . والأجدر بهذا الحادث ان صح وقوعه ان يقوى في نفوس مستنكريه الحرص على عدم ضياع هذا القبر . لتبقى ذكراه

(١) مروج الذهب جلد ٢ ص ٢١٣ (٢) معجم البلدان [طابع ليبزغ] جلد ٢ ص ٢٩٣ . (٣) تاريخ الكامل ج ٥ ص ١٦١ (٤) مختصر الدول ص ٢٠٧ (٥) المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢١٢ (٦) كتاب العبر ج ٣ ص ١٣٣ (٧) تتمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩٢ (٨) روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة المطبوع على هامش الجزء [١١] من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٥٣ .

عالقة في أذهانهم ماثلة لأعينهم • فيتناقلوا خبره جيل بعد جيل الى ان سنحت لهم الفرصة فجددوا فيها قبر معاوية على النحو الذي وصفه لنا المسعودي عام ٣٣٢

ومما لا ريب فيه انه كان لبني أمية تربة خاصة بهم وهي التي درسها العباسيون وحرثت وزرعت بعد ذلك نحواً من مئة سنة كما ذكره ياقوت الحموي • وأعتقد ان مساحة هذه التربة كانت ضيقة جداً ولا تتجاوز مساحتها (١٠٠٠) متر مربع أي ما يساوي مساحة باحة المدرسة العادلية • وهذه المساحة واسعة بالنسبة لقلة عدد خلفاء بني أمية وعدد من دفن منهم فيها • والمعروف ان نصفهم اي سبعة منهم ماتوا ودفنوا بعيدين عن دمشق • ولو أضفنا الى ذلك ما اشتهر عنهم من قلة الذرية وقصر عهد ملكهم لأصبنا الحقيقة في استنتاجنا هذا • وقد بلغ عدد خلفاء بني أمية اربع عشرة خليفة وحكموا ثلاثاً وتسعين سنة فقط مع انه قد طال حكم الفاطميين مائتين وثمانية وستين سنة وعددهم يساوي عدد خلفاء بني أمية • ولذلك لا يمكن ان يغيب عن الأذهان في مثل هذه التربة الضيقة آثار قبر مشهور كقبر معاوية مهما تعمد اعدائه في محوى آثاره •

ان الذي حملني على هذا البحث هو استنكار الناس الحالة التي عليها اليوم قبر معاوية وإهمال أمره حتى أصبح حقيقة عرضة للضياع والاضمحلال • ولذلك ارجو من مجمعنا العلمي ان ارتاح لما توصلت اليه في بحثي هذا وسلم بصحة نسبة هذا القبر الى معاوية ان يعمل لصيانة هذا القبر ويدعو الأمة حكومةً وشعباً للمساهمة في تجديد قبر معاوية وتشييد ضريح يليق بمكانة هذا الرجل العظيم كاتب وحي رسول الله ومؤسس أعظم دولة عربية عرفها التاريخ •

وبعد تقديم هذا البحث الى الطبع • تفضل الاستاذ الشيخ راغب افندي الطباخ وأرشدني الى نص عثر عليه في تاريخ القرماني ص ٢٦٢ نقلاً عن نجوم الزاهرة وهو: «ان احمد بن طولون قدم دمشق في سنة ٢٧٠ وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء» • وأما عبارة النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤٧ فهي : « وفيها (أي سنة ٢٧٠) بنى احمد بن طولون على قبر معاوية بن أبي سفيان أربعة أروقة • ورتب عند القبر أناساً يقرؤن القرآن ويوقدون الشموع عند القبر »•

جعفر الحسني

دار الحديث السكرية

يهتم أنصار الامام تقي الدين احمد بن تيمية بالبحث عن المدرسة التي كان يقطنها ويدرس فيها بعد أبيه . واذا رجعنا الى كتب التاريخ والتراجم والطبقات لانجد ذكر هذه المدرسة يتردد إلا نادراً في حين أننا نجد لغيرهـا من دور الحديث والمدارس عشرات المرات من الذكر . وهذا يدلنا على خمول اسم هذه المدرسة وعدم وجود شأن لها وان سبب انتشار ذكرها – قليلاً – هو سكنى الامام تقي الدين احمد وأبيه عبد الحليم بن تيمية فيها ومع ذلك فالذين ورخوا مدارس دمشق كانت معلوماتهم ضئيلة عنها .

فالنعيمي في تنبيه الطالب والعلموي والبقاعي في مختصريهما للتنبيه يقولون انه كان بها خانقاه ، ويتفق النعيمي والعلموي على أن الذين درسوا فيها هم عبد الحليم بن تيمية ثم ابنه احمد شيخ الاسلام ، ثم الحافظ الذهبي ثم صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي ويتفقون جميعاً على أنهم لم يطلعوا على ترجمة واقفهـا . ومعنى هذا أن تاريخ انشائها مجهول لديهم .

موقعها

يذهب بعض الباحثين في عصرنا الى أنها واقعة في سوق السكرية وانها هي المسجد المسمى اليوم بمسجد السادات الكائن في سوق مدحت باشا لأن قبليه يتصل بسوق السكرية أما سوق السكرية فهو السوق الذي فيه باب جامع السنانية الشمالي . وهذا الرأي لا يستند الى نص تاريخي وغاية مافيه التشابه في التسمية في حين ان دار الحديث السكرية منسوبة لشرف الدين بن سكر أحد الأمراء ، وسوق السكرية عرف بذلك لاختصاص باعة السكر به منذ خمسين عاماً والفرق بين النسبتين ظاهر

موقعها الحقيقي

ان المدرسة الخيضرية (المشهورة في عصرنا بالخضيرية) تعين لنا موقع دار الحديث السكرية وموقع القصاعين تماماً . فالنعيمي والعلموي والبقاعي متفقون على ان دار

الحديث السكرية بالقصاعين وان المدرسة الخيضرية هي شمالي دار الحديث بالقصاعين أيضاً واذ لم يكن لنا بالقصاعين دار حديث غير السكرية تعين ان تكون هي المرادة وتعين ان تكون واقعة قبلي الخيضرية . واذا رجعنا الى تاريخ ابن عساكر نراه يشير الى انه كان في مكانها مسجد فهو حينما يعدد المساجد التي قبلي دمشق يقول : مسجد في درب القصاعين سفل عن يسار الداخل .ولو ذهب الانسان اليوم الى القصاعين (حارة الخضيرية) لوجد على يسار الداخل اليها مسجداً هو (الخيضيرية) واذا كانت (الخيضيرية) بنيت عام (٨٧٨) شمالي السكرية اتضح لنا ان السكرية هي مكان المسجد الذي أشار اليه ابن عساكر . ولدينا وثيقة أخرى تثبت ان السكرية قامت مكان مسجد قديم . فعند أحد أصدقائنا نسخة من مختصر تنبيه الطالب للملوي بخط الشيخ رمضان العطيفي المترجم في تاريخ المحبي كتب على هامشها ما يلي : ان السكرية جددت في أيام الظاهر بيبرس وقد وقفها زكي الدين احمد بن طلائع على الامير شرف الدين بن سكر ثم من بعده مسجداً ودار حديث ووقف عليها اوقافاً وافية على شيخ امام بها من أي المذاهب ، ومؤذن وستة نفر يستمعون الحديث على الشيخ وذلك في شهر جمادى الاولى سنة (٦٧٤) ومن الغريب ان يكتب هذا النص على هامش مختصر تنبيه الطالب ولا يطلع عليه النعيمي ولا من اختصر كتابه . ولم يشر الى هذا النص ابن كثير في تاريخه مع كثرة تتبعه لأمثال هذا البحث . والراجح ان هذا النص صحيح وان لم نعرف مصدره الأول . ومهما يكن فانه يرشدنا الى الزمن الذي تحول فيه المسجد الذي ذكره ابن عساكر الى دار حديث مادام هذا النص يقول عنها : انها جددت

ولدينا وثيقة ثالثة وهي رسالة خطية ضمن مجموع رقم (١٢٨) من مجاميع دار الكتب الظاهرية بدمشق واسمها (السكرية في السكرية) لمؤلف مجهول وخلاصة الرسالة هي : انه في سنة (٧٨٥) اي بعد تجديد بنائها أيام الملك الظاهر بـ [١١١] سنة كان المدرس فيها والناظر عليها الحافظ عبد الرحمن بن رجب

الحنبلي [1] فجاء شمس الدين محمد بن عبد الكريم التدمري من أكابر تجار دمشق وأعيانهم ومن محبي الشيخ تقي الدين بن تيمية الفقيه الحنبلي وكانت داره مجاورة لدار الحديث السكرية التي تداعى بعض بنائها والبعض الآخر كان بحالة رثة يستدعي الهدم والتجديد — وطلب من قاضي القضاة الحنبلي شمس الدين المشهور بابن التقي المقدسي [2] الكشف عن هذه المدرسة والاذن له بهدمها وتوسيعها وعمارتها من جديد فجاء اليها القاضي المذكور ومعه المعمارية المهندسون : المعلم محمد بن العطار معمار الجامع الاموي ، وابن الفارقي ، وابن الزلباني وشاهدوا اشراف بعض الاماكن على الانهدام ، واحتياجه الى الفك فأمر القاضي بكتابة محضر بصورة الحال

والظاهر ان ابن التدمري بعد ان جدد بناء هذه المدرسة ووسعها اراد ان يصير ناظراً عليها ، فمنعه من ذلك الناظر الأصلي وهو ابن رجب الحنبلي ولم يستطع ابن التدمري أخذ حكم من القضاة بنصب نفسه ناظراً عليها فالتجأ الى مؤلف هذه الرسالة — المجهول اسمه لدينا — فألفها له ليثبت ان الحق مع ابن التدمري . ويصف في هذه الرسالة عمارة المدرسة وهيأتها القديمة والحديثة بما لا يخرج عن محضر القاضي ، ويناقش مناقشات فقهية دقيقة . ويأتي بنصوص كثيرة مختلفة تتعلق بأحكام الوقف وأحكام هدم المساجد وعمارتها مما يدل على طول باع مؤلفها

ونحن نثبت هنا المحضر الذي شهد به المهندسون وصدق عليه القاضي لما له من القيمة القضائية والتاريخية . فهو وثيقة تاريخية عن محاضر القضاة وأصولها في ذلك العصر يتضمن أشياء غير قليلة عن هيئة المدرسة قبل عمارتها . ويصفها وصفاً دقيقاً بعد العمارة كأن الانسان يشاهدها . ويتضمن أيضاً أشياء تاريخية مما يتعلق بدمشق وبعض اصطلاحات معمارية واسمائها في ذلك العصر وهذه صورة المحضر :

(١) لم يذكر النعيمي ولا متابعوه عن ابن رجب شيئاً في المدرسة السكرية وهذا مما فاتهم . وابن رجب من أشهر أعلام القرن الثامن ومؤلفيهم ومن أشهر مصنفاته طبقات الحنابلة التي ذيل بها على طبقات ابن ابي يعلى . ويذكر ابن العماد انه كان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين توفي سنة (٧٩٥)

(٢) هو القاضي شمس الدين محمد بن تقي الدين عبدالله بن محمد بن محمود بن احمد بن عفان المرداوي الحنبلي ناب في القضاء ثم استقل به وتوفي في رمضان سنة (٧٨٩)

وقف بالاذن العالي القضائي السامي من يضع شهادته أو يوضع عنه من المعمارية والمهندسين أولي الخبرة بالعمائر على جميع المدرسة بمحلة القصاعين بدمشق المعروفة قديماً بدار الحديث السكرية المشهورة بشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية التي حدها كذا[1] فوجدوا هذه المدرسة ضيقة حرجة على المصلين والمنتفعين بها من أهلها وغيرهم ووجدوا بابها مربعاً واطياً ينزل اليها منه في أربع درجات . وعتبته العليا نازلة واطية جداً لا يدخل الداخل منه الا مطأطئاً رأسه بحيث يحصل للداخل مشقة . ووجدوا ايوان هذه المدرسة القبلي صغيراً يضيق بالمصلين والمحراب لطيف جداً لا يسع الامام واذا تأخر الامام عنه ساوى المأمومين في الصف[2] . ووجدوا جدران هذه المدرسة من القبلة والشرق وسقوفها مشعثة محتاجة الى تجديد عمارة وفك واعادة ووجدوا أرض هذه المدرسة نازلة عن الطريق بمقدار ذراع ونصف بغير حاجة ولا ضرورة الى نزولها لأن ماءها عال عليها ، وفي هبوطها ونزولها ضرر عليها وعلى أهلها والمصلين بها وخصوصاً على جدرانها لنداوة الأرض ، ووجدوا هذه المدرسة لا طهارة لها يومئذ ينتفع بها أهلها ولا المصلون بها ، ووجدوا على ظهر هذه المدرسة حجرتين عتيقتين حرانيين[3] مقمنين على المدرسة مضرتين بها محتاجتين الى فك وتجديد عمارة . والى جانب هذه المدرسة من الشرق قاعة مختصة بملك الفقير الى الله شمس الدين محمد بن التدمري وعلى هذه القاعة حجرة فاذا فك جميع عمار هذه المدرسة سفلاً وعلواً وأضيفت القاعة المختصة بابن التدمري الى هذه المدرسة توسعة لها وعمل ايوان هذه المدرسة شرقاً وغرباً سبعة اذرع ، وعرضاً : قبلة وشاما اربعة أذرع ونصف ، وعمل الحائط القبلي الى نهايته بحجارة صفر وبيت سيمي مثل وجه الحائط القبلي وفي كل واحد من جانبي هذا الايوان الشرقي والغربي بيت وجهه نسبة الحائط القبلي نضيف (نظيف) وفتح في كل بيت منها ضوايات الى الطريق . وعمل ظهر الحائط القبلي بحجارة بيض وعمل علو المحراب في الحائط القبلي قمريات

(١) هكذا في الأصل لم يذكر حدودها (٢) يؤخذ من هذه العبارة ان الايوان المذكور لا يتسع الا لصف واحد من المصلين (٣) مهملة في الأصل فيحتمل قراءتها خرابتين ويحتمل حرانيتين نسبة لحران اما لكونها على طراز بناء حران أو نسبة الى الحرانيين الذين نزلوها : ابن تيمية وأبيه

ينجر منها الضوء الى الايوان المذكور . وعمل تجاه هذا الايوان القبلي ايوان شامي يحاكيه في ارتفاعه وطوله شرقًا بغرب ، ويكون عرضه قبلة بشام ذراعين . وعمل في كل واحد من جانبيها الشرقي والغربي صِفَةً صُفَّةٍ وعمل لكل واحد من الايوانين القبلي والشامي والصفتين الشرقية والغربية جبهات حجارة سود وحمر مجلية . ولكل واحد من الايوانين والصفتين قنطرة حجارة حمر وصفر وسود وأبيض بيت سيمي . وفك الرخام الذي بوسط هذه المدرسة وعمل مكانه بلاط احمر مجلي . وعملت البركة بحجارة حمر مجلية ودبشت أرض هذه المدرسة وارتفعت حتى تقارب أرض الطريق وتساوي الطريق اذا بلطت وتتساوى ارض المدرسة والطريق ويزول الاحتياج الى الدرج . ونقل باب المدرسة من مكانه الذي هو الآن في جهة الشام مكان باب المطلع الى ظهرها الموجود يومئذ وعمل مربعًا عاليًا متسعًا يدخل منه الى المدرسة بغير كلفة ولا حرج وعمل شباك غربي يطل الى الطريق من الصُفّة الغربية ارتفاعه ثلاثة أذرع وعرضه ذراع ونصف كل هذه الأذرع بالذراع القاسمي . وعمل لهذه المدرسة طهارة شرقية يتطرق اليها من باب فيما بين الايوان الشامي والصفة الشرقية مقابل باب المجاز يدخل منه في دهليز من وراء الصفة الشرقية يكون في هذه الطهارة بيتان ويجري الماء اليها من ماء القاعة المذكورة المختصة بملك شمس الدين ابن التدمري ، ومن فائض بركة المدرسة وعمل على ظهر هذه المدرسة بعد اضافة القاعة المذكورة اليها حجرتان احداهما كبرى شامية بمطبخ ومرتفق كاملة المنافع ، والأخرى قبلية بمنافع ومرافق ويبقى بقية ظهر المدرسة كشفًا من الجهات الأربع لانتفاع أهل المدرسة وتكثير الضوء من العراقية ، ووجدوا أيضًا لهذه المدرسة جناحين بارزين قبلةً وغربًا ببرمقتيات ومرسل بروز الجناح القبلي في شرقه ذراع واحد وفي غربه ذراع ونصف . وبروز الجناح الغربي البرمقتيات ذراع ونصف والمرسل ذراع ويشهدون مع ذلك ان الفقير الى الله شمس الدين بن التدمري اذا تبرع بالقاعة المذكورة المختصة بملكه وأضافها الى هذه المدرسة وعمل هذا العمل المذكور على الوجه المذكور والصفة المشروحة من ماله متبرعًا به ابتغاء وجه الله ومرضاته ورجاء لثوابه كان في ذلك حظ ومصلحة له وللمدرسة ولأهلها والمصلين

بها والمنتفعين بها وكان لشمس الدين ابن التدمري الأجر الجزيل هذه صورة ما وجدوا وذلك في شهر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة • وخط المعاربة :

وقفت على ذلك والأمر كما شرح له
كتبه محمد بن محمد العطار معمار الجامع الاموي
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقف على ذلك وشهد بمضمونه
المعلم احمد بن محمد بن عبد الرحمن
الزلباني وكتب عنه باذنه
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقفت على ذلك وشهدت بمضمونه
كتبه احمد بن عثمان الرقي معمار الجامع
خط القاضي : شهد عندي بذلك

صورة خط القاضي في الهامش توقيعاً للمسجل

أشهد بثبوت ما قامت به البينة فيه والاذن للخواجا شمس الدين المسمى فيه في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح فيه مع العلم بالخلاف • كاتب المحضر المذكور هو الشيخ تقي الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن الحنبلي امام المدرسة السلامية بدمشق وهو المسجل على القاضي ومقتضاه : اشهدني قاضي القضاة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام تقي الدين عبد الله المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق انه ثبت عنده مضمون المحضر المذكور بشهادة المعاربة الذين اعلم على اسمائهم ثبوتاً شرعياً وانه اذن للخواجا شمس الدين محمد بن التدمري في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح مع علمه بالخلاف بين العلماء فيما فيه الخلاف من ذلك في صفر سنة خمس وثمانين وسبع مائة

هذا نص ما وجدناه في الكتاب الخطي المسمى بالسكرية في السكرية اثبتناه لما فيه من طرافة تاريخية فهو يمثل لنا دار الحديث السكرية خير تمثيل قبل تجديد بنائها وبعده ، ويحفظ لنا ألفاظاً عديدة كانت مستعملة في ذلك العصر كالقمرية والضوّاية والعراقية وبيت سمي للقرية الشهيرة ببسيما ودبش الأرض والبرمقيات ، ويصور لنا السكرية مدرسة ضيقة صغيرة قبل تجديدها وبعده ومن مجموع صفاتها نستطيع ان نقول انها تشبه من جهات عديدة دار القران الخيضرية خصوصاً مساحتها وايوانيها القبلي والشمالي ومدخلها • وبعد فلم يبق للسكرية أثر في عصرنا وأصبحت داراً من الدور وموقعها قبلي جامع الخضيرية قرب باب الجابية كما تقدم **محمد احمد دهمان**

مخطوطات ومطبوعات

الإمتاع والمؤانسة

تأليف أبي حيان التوحيدي صححه وضبطه وحققه الأستاذان احمدامين بك واحمد الزين

طبع في القاهرة سنة ١٩٤٤ في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الجزء الثالث ص ٢٣٠ عدا الفهـارس

صدر هذا الجزء وهو الأخير من كتاب الإمتاع والمؤانسة (راجع الكلام على الأول والثاني في م ١٦ ص ٣٦٣ وم ١٧ ص ٥٤٤ من هذه المجلة) وفي هذا الجزء كطريديه كل ممتع من أحاديث ابي حيان مع الوزير ابن العارض في الاربعين ليلة التي سامره بهـا . ومن أهم ما في هذا الجزء ما نقله المسامر من وصف أحد البلغاء للتجار وقوله لا يوجد الأدب الا عند الخاصة والسلطان ومدبريه وأما اصحاب الأسواق فانا لا نعدم من أحدهم خلقاً ذمياً الى آخر ما قال فيهم [ص ٦١] وقول الوزير له : ان كان هذا الواصف عنى العامة بهذا القول فقد دخل في وصفه الخاصة أيضاً فوالله ما اسمع ولا أرى هذه الاخلاق الا شائعة في أصناف الناس من الجند والكتاب والتناء [الأعيان] والصالحين وأهل العلم لقد حال الزمان الى أمر لا يأتي عليه النعت ولا تستوعبه الأخبار وما عجبي الا من الزيادة على مرّ الساعات .

ومن أجمل ما فيه قول الوزير [ص٨٥] «انه ضاق صدره بالغيظ» لما يبلغه عن العامة من خوضها في حديث الأمراء وسيرتهم وتتبع أسرارهم وانه همّ في الوقت بعد الوقت بقطع السنةٍ وأيدٍ وأرجلٍ وتنكيلٍ شديدٍ لعلّ ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة ويقطع هذه العادة . وقول أبي حيان ان عنده جوابين فيهما بعض الغلظة وقال ان الحق مر ومن توخى الحق احتمل مرارته فأراده الوزير على ايرادهما وقال : ليس يُنتفع بالدواء الا بالصبر على بشاعته وصدود الطبع عن كراهته فكان الجواب الأول مقتبساً من كلام شيخه ابي سليمان المنطقي وفيه تحليل سر خوض الناس في أمور الحكام وخلاصة الجواب الثاني ما رواه جماعة من الصوفية قصدوا الى جماعة

من الزهاد في أيام الفتنة بخراسان وسؤال هؤلاء لأول ساعة عن الأخبار وما كان من الفتنة واستغرابهم ان يهتم أمثالهم لمثل هذه الأمور الدنيوية ، وكشف ابي الحسن العامري الفيلسوف لهم سر ذلك لما سألوه حلّ هذا الاشكال وكل ذلك ببيان عجيب يفهم منه روح ذاك العصر ٠

ومما حمله هذا الجزء فصل ممتع في الإرادة والاختيار والنفس تتشربه النفوس مها كانت بعيدة عن معاناته لأنه كتب بذوق متناه ٠ وسأل الوزير ليلة : من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افترقوا هذا الافتراق وتباينوا هذا التباين وخرجوا الى التكفير والتفسيق واباحة الدم والمال ورد الشهادة واطلاق اللسان بالجرح والقذع والتهاجر والتقاطع ٠ فكان الجواب : ان المذاهب فروع الأديان والأديان أصول المذاهب فاذا ساغ الاختلاف في الاديان وهي الأصول فلم لا يسوغ في المذاهب وهي الفروع ٠ فقال : ولاسواء الأديان اختلفت بالأنبياء وهم أرباب الصدق والوحي الموثوق به والآيات الدالة على الصدق وليس كذلك المذاهب ٠ فقيل : هـذا صحيح ولا دافع له ولكن لما كانت المذاهب نتائج الآراء والآراء ثمرات العقول والعقول منائح الله للعباد وهذه مختلفة بالصفاء والكدر والكمال والنقص وبالقلة والكثرة وبالخفاء والوضوح وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والافتراق وان كانت منوطة بالنبوة ٠ وبعد فما دام الناس على فطر كثيرة ، وعادات حسنة وقبيحة ، ومناشئ محمودة ومذمومة ، وملاحظات قريبة وبعيدة ، فلا بد من الاختلاف في كل ما يُختار ويجتنب ولا يجوز في الحكمة ان يقع الاختلاف فيما جرى مجرى المذاهب والأديان ، الا ترى ان الاتفاق لم يحصل في تفضيل أمة على أمة ولا في تفضيل بلد على بلد ولا في تقديم رجل على رجل ، ولو لم يكن في هذا الأمر الا التعصب واللجاج والهوى والمحك والذهاب مع السابق الى النفس والموافق للمزاج والخفيف على الطباع والمالك للقلب لكان كافياً بالغاً بالانسان كل مبلغ ٠ وشيخنا ابو سليمان يقول كثيراً ان الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم وليس فيه « لم » و « لا » و « كيف » الا بقدر ما يؤكد أصله ويشد ازره وينفي عارض السوء عنه لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك

ويقدح في الفرع بالتهمة . قال وهذا لا يخص ديناً دون دين ولا مقالة دون مقالة ولا نحلة دون نحلة بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ونفى الطباع وقلب الأصل وعكس الأمر وهذا غير مستطاع ولا ممكن .

ومما كتب به التوحيدي الى الوزير وهو ما يستدل منه انه كان سفير خير قوله يجب على كل من آتاه الله رأياً ثاقباً ونصحاً حاضراً وتنبهاً نافعاً ان يخدمك متحرياً لرسوخ دعائم المملكة بسياستك وريادتك قاضياً بذلك حق الله عليه في تقويتك وحياطتك . واني أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دون العشرة — يؤثرون لقاءك والوصول اليك لما تُجن صدورهم من النصائح النافعة والبلاغات المجدية والدلالات المفيدة ويرون انهم اذا أهلوا لذلك فقد قضوا حقك وأدوا ما وجب عليهم من حرمتك وبلغوا بذلك مرادهم من تفضلك واصطناعك وتقديمك وتكريمك والحجاب قد حال بينهم وبينك ولكل منهم وسيلة شافعة وخدمة للخيرات جامعة منهم — وهو أهل الوفاء — ذوو كفاية وأمانة ونباهة ولباقة ومنهم من يصلح للعمل الجليل ولرتق الفتق العظيم ، ومنهم من يُمتع اذا نادم ويشكر اذا اصطنع ويبذل المجهود اذا رفع ومنهم من ينظم الدر اذا مدح ويضحك الثغر اذا مَزح ومنهم من قعد به الدهر لسنه العالية وجلابيبه البالية فهو موضع الاجر المذخور وناطق بالشكر المنظوم والمنثور ومنهم طائفة أخرى قد عكفوا في بيوتهم على ما يعنيهم من أحوال أنفسهم في تزجية عيشهم وعمارة آخرتهم وهم مع ذلك من وراء خصاصة مرة ومؤن غليظة وحاجات متوالية ولهم العلم والحكمة والبيان والتجربة ولو وثقوا بأنهم اذا عرضوا انفسهم عليك وجهزوا ما معهم من الأدب والفضل اليك حَظوا منك واعتزوا بك لحضروا بابك وجشموا المشقة اليك لكن اليأس قد غلب عليهم وضعفت مُنتهم وعكس أملهم ورأوا ان سف التراب أخف من الوقوف على الأبواب اذا دنوا منها دُفعوا عنها فلو لحظت هؤلاء كلهم بفضلك وادنيتهم بسعة ذرعك و كرم خيمك وأصغيت الى مقالتهم بسمعك وقابلتهم بملء عينك كان في ذلك بقاء للنعمة عليك

وصيت فاش بذكرك وثواب مؤجل في صحيفتك وثناء معجل عند قريبك وبعيدك والأيام معروفة بالتقلب والليالي ماخضة بما يتعجب منه ذو اللب والمجدود من جُدَّ في جده اعني من كان جده في الدنيا موصولاً بحظه من الآخرة ولأن يوكل العاقل بالاعتبار بغيره خير من أن يوكل غيره بالاعتبار به . ايها الوزير اصطناع الرجال صناعة قائمة برأسها قل من بني بربطها أو يتأتى لها او يعرف حلاوتها وهي غير الكتابة التي تتعلق بالبلاغة والحساب .

وفي هذا الجزء كثير من درر الأقدمين خليقة بأن يتنافس في اقتنائها وينظر فيها الدارسون نظر تأمل وتفكير ونكرر ثناء للأستاذين الناشرين وللجنة التأليف والترجمة والنشر التي أخرجت الكتاب في هذا الوقت الصعب على أحسن ما يجب نشره للناس ورجاؤنا ان توفق الى نشر أمثاله خدمة للآداب وإحياء لآثار أجدادنا

محمد كرد علي

ابن الرومي : حياته من شعره

عباس محمود العقاد

لم يقص الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : ابن الرومي ، قصة هذا الشاعر ولا سرد أخباره على نحو ما تُقص القصص وتسرد الأخبار عادةً ، مجرَّدة من عناصر الحياة ، وانما صوَّر الأستاذ العقاد شاعره ابن الرومي تصويراً ، والصورة اذا لم تكن ناطقة كانت غير بارعة ، ولكن الأستاذ العقاد جمع لصورته عناصرها كلها ، فلم يفته شيء من خطوطها وألوانها ، ولا من ظواهرها وبواطنها حتى أصبحت صورته كأنها جسم حي وكأنها روح ناطقة .

شرع الأستاذ في وصف عصر ابن الرومي ، فوصفه وصفاً أقل ما يقال فيه ان القارئ يحس بأنه من أهل ذلك العصر يشهد آثار الغضب والفتك والدسائس في الدولة ، ويلمس آثار الترف واللهو في المجتمع ، وعلى الجملة فإن العصر الذي عاش فيه ابن الرومي انما هو عصر سلب وغيلة واغتنام فرص وانتهاب لذات وشك وتشعب ، ولكن من محاسن ذلك العصر صلاحه لعبقرية شاعر مثل ابن الرومي لأنه عصر حيّ حافل بأشتات الحياة وألوان الاحساس .

ولم يقتصر الأستاذ العقاد على مجرّد وصف العصر الذي عاش فيه ابن الرومي وانما وضح الصلة بين الشاعر وبين عصره فلم يكن ابن الرومي غريباً عما كان يجري في عصره من سفك دم أو من ذوق لذة وغير ذلك وانما كان شعره في بعض المواطن مرآة ثورة أو لذة .

وعلى هذا النحو من التوضيح والتفصيل سار الأستاذ العقاد في اتمام صورة ابن الرومي ، فما كان يخرج من فصل عصره حتى يدخل في فصل أخباره وما كان يخرج من فصل أخباره حتى يدخل في فصل حياته وكل همه في هذه الفصول ان تكون صورة ابن الرومي كاملة غير مشوهة ، ناطقة غير جامدة ، مشرقة غير كامدة واذا أعوزه شيء من الخطوط والألوان استعان بشعر ابن الرومي نفسه فاستخرج منه ما يعينه على استكمال الصورة حتى لا تحتاج الى شيء من الوضوح والإشراق بحيث انك لا تقرأ كتاب : ابن الرومي ، الا وجدت فيه وحدة تامة بين شعره وحياته ، وهذا ما حرص عليه الأستاذ العقاد في كتابه كله ، لقد حرص على بيان الطبيعة الفنية في ابن الرومي ، وهي التي تجعل من الشاعر جزءاً من حياته ، فابن الرومي وفنه كانا شيئاً واحداً ، كان ابن الرومي شاعراً ولو لم يكن شاعراً لما استطاع ان يكون مثلاً فيلسوفاً أو وزيراً أو غير ذلك .

ولم يكن اهتمام الأستاذ العقاد بالفصول التي تصور عبقرية ابن الرومي أو فلسفته أو صناعته أقل من اهتمامه بالفصول التي تصور حياته المادية ، لقد كانت صورة ابن الرومي كاملة من الناحيتين : من ناحية الحياة المادية ومن ناحية الحياة الفنية ، لم يهمل الأستاذ العقاد شيئاً مما يوضح عبادة ابن الرومي للحياة أو حياته مع الطبيعة أو التقاطه للصور والأشكال او تشخيصه للمعاني او تقديمه الجمال على الخير او نظرته الى الدنيا نظرته الى المعرض المنصوب للتملي والمتعة الى غير ذلك من خصائص عبقرية ابن الرومي وهي خصائص العبقرية اليونانية على وجه عام .

وهكذا كانت براعة الأستاذ العقاد في وصف فلسفة ابن الرومي وصناعته .

وأظن ان كتاب : ابن الرومي انما هو عنوان قدرة الأستاذ العقاد ، ولا أرى بي حاجة الى زيادة في القول .

شفيق جبري

سعد زغلول

عباس محمود العقــاد

من محاسن حظ الأستاذ عباس محمود العقاد ان يكون موضوع كتابه رجلاً مثل سعد زغلول ، ومن محاسن حظ سعد زغلول ان يكون المخلد لذكراه كاتباً مثل الأستاذ العقاد ، لقد كانت حيــاة سعد وقدرة الأستاذ العقاد متلازمتين ، اذ ليس من الأمر اليسير الكلام على الزعامات السياسية في بلاد مثل بلادنا حيث نجد للزعامات مقاييس غريبة لا نجد أشباهها في البلاد التي تعرف معنى الزعامات وتعرف ما تقتضيه هذه ، الزعامات من الصفات العقلية فضلاً عن الصفات الخلقية .

لقد تقرن في الشرق الزعامات السياسية بالذي أسميه : الوطنية ، ولكن الوطنية في الشرق لها معنى خاص بالنظر الى وضعه السياسي ، فالوطنية في الشرق تعظم أو تصغر على قدر بعد صاحبها عن الأجنبي أو قربه منه ، وعلى قدر التحريض عليه أو الترغيب فيه ، غير ان السياسة تتغير في كل فرصة ، فقد يكون المحرّض وطنياً ثم يصير تحريضه على الأجنبي الى الترغيب فيه فيظل وطنياً ، أما الوطنية بمعناهــا المألوف في بلاد العالم وأريد بها الحنو على بقاع الوطن والتغني بمحاسن هذه البقاع فهذا شيء لم نألفه بعد .

من أجل هذا كله أرى الكلام على الزعامات السياسية دقيق المذهب ، لأن السياسة زائلة أو متحولة ، فهي لا تثبت على وجه واحد ففي كل يوم لها وجه خاص وتخليد صاحبها في كتاب أمر غير هين ، فقد يكون الزعيم السياسي في يوم من الأيام وطنياً من الطراز الأول ثم يأتي يوم آخر يجردونه فيه اما من وطنيته كلها واما من بعضها ، لقد كان كليمنصو في الحرب الماضية رجل فرنسة ومنقذها ، ولما انقضت الحرب لم تعرف فرنسة له قدره .

أما سعد زغلول فلم تقتصر عظمته على صفاته السياسية أو الوطنية وحدهــا ، وانما كانت هذه العظمة مقرونة بخصائص خلقية وعقلية ثابتة تجعل من صاحبها رجلاً عظيماً لا تزول عظمته بزوال الأحوال السياسية التي لازمتها ، الا ان الحكمة كل

الحكمة في الاهتداء الى هذه الخصائص واستخراج أسرارها من مكامنها والوصول الى كل ناحية من نواحيها ، ولقد تيسر للأستاذ العقاد ان يخالط سعداً وان يتصفح أخلاقه ويدقق في نتائج فكره وحسه وشعوره ويسمع أحاديثه في مجالسه ويبلغ الى مواطن القوة فيه سواء أكانت هذه القوة في خلقه أم في عقله أم في منطقه ، ولقد دوّن هذا كله بعد شيء من الشرح والتعليل ، وفي شيء من الكلام السهل ، فإذا كان كتابه عظيماً فهذه العظمة ناشئة عن مصرين ، لقد أوحى سعد الى الأستاذ العقاد معاني جليلة من شخصيته فعرف الأستاذ العقاد كيف يبسطها وكيف يوضحها حتى يكون الكتاب المشتمل عليها كتاباً مذكوراً في عالم الأدب

ش . ج



تذكار جيتي

عباس محمود العقــاد

إذا رأى بعض الأدباء غموضاً أو تعقيداً في طائفة من كتابات الاستاذ العقاد فإنهم لا يرون في كتابه : تذكار جيتي الا سهولة في التعبير ووضوحاً في الفكر وقوة في التركيب ، فقد ظهر الأستاذ العقاد في كتابه هذا في حقيقة مظهره ، بعد عن الآفاق الفلسفية او الاجتماعية التي قد يصعب تصويرها في بعض الأحيان دون ان تظهر على هذا التصوير آثار الغموض والتعقيد ، وذلك اما لأن مزاج المصور غريب عن المزاج الفلسفي المعقد واما لأن هذا المصور لم يهضم المعاني الفلسفية او الاجتماعية الحديثة ، فقد أوتي الأستاذ العقاد في كتابه : تذكار جيتي نصيباً غير قليل من صفاء الذهن وصفاء الأسلوب معاً .

واذا لم يتيسر التبسط في الكلام على محتويات هذا الكتاب في مثل هذا المقام ، فقد تتيسر الاشارة الى هذه المحتويات ، فقد تكلم الأستاذ على « جيتي » من حيث

جمعه لثورات المانية كلها فقد كان «جيتي» سليل الكنيسة الثائرة على الطبيعة والقلعة الثائرة على الكنيسة ، والمدينة الثائرة على القلعة ، والفرد الثائر على المدنية ، ثم حلل النفس الألمانية تحليلاً مختصراً فقد اجتمعت في هذه النفس عناصر شتى : التدين والفلسفة والسحر والموسيقى والأناشيد والأحلام ، ثم أتى على تأريخ الحرية الفنية في المانية ، ثم تكلم على المؤثرات الغربية في «جيتي» ولم يقتصر على تأثير الغرب وحده فأشار الى تأثير الشرق في «جيتي» فقد اتصلت به عناصر شرقية وأثرت فيه بعض التأثير ، فللعربية بعض الفضل في تثقيفه وتغذية خياله لأن آداب العرب وصلت الى الألمان قبل «جيتي» عن طريقين : عن طريق الترجمة من العربية الى الألمانية وعن طريق الآثار التي ترجمت عن الانجليزية والاسبانية والفرنسية وكانت فيها مسحة واضحة من الآداب العربية ، وديوان «جيتي» ، واسمه : الديوان الشرقي أكبر دليل على عمل الأدب العربي فيه فقد نسج فيه على منوال الشرقيين والعرب في الغزل والوصف والحنين .

وبعد ان فرغ الأستاذ العقاد من هذه المباحث وصف حياة «جيتي» فقد عاش «جيتي» حياته كلها في ربيع ناضر من نسج الفن والطبيعة على السواء ، وأفاض في حياته في مباحث شتى : في الشعر والشريعة والسحر والتصوير والموسيقى والطب والمعادن والنبات .

وليت المجال يتسع لتلخيص ما ذكره الأستاذ العقاد من آثار المرأة في حياة «جيتي» أو ماوصفه من مؤلفاته مثل : «آلام ڤرتر» أو «فوست» أو «ويلهلم ميستر» أو الديوان الشرقي أو غيرها أو ماصوره من عبقريته وشخصيته وعقيدته وآرائه وتقديره .

وقد ختم الاستاذ العقاد رسالته بانتخاب طائفة من كلام «جيتي» .

فكتاب : تذكار جيتي في مقدمة كتب الأستاذ العقاد التي تكشف لنا عن حقيقة أسلوبه .

ش . ج

الحكم المطلق في القرن العشرين

عباس محمود العقاد

حدثنا الأستاذ عباس محمود العقاد في رسالته : الحكم المطلق في القرن العشرين ، بنعمة الديمقراطية وتمثيل الشعب ، فقد دافع عن الديمقراطية وحذّر المستبدين من عزل الشعوب عن الحكم وحذّر الكتاب المسرفين في نقد الديمقراطية من عواقب نقدهم لأنه اذا بطل الايمان بها فلن يخلفها نظام أصلح منها ، وقد نجد الأستاذ في خلال كلامه على زعامة مصطفى كمال يدعو الى الزعات ولكنه يدعو الى الزعامات التي تنهض بالأمم فوق ضعف الحرص وفوق ضعف الشهوات الباطلة والعروض الزائلة .

كل هذا لا اعتراض عليه فقد كان دفاع الأستاذ العقاد عن الديمقراطية دفاع المؤمن بها ، فهي لم تفشل في نظره وهي ستكون أساساً للحكم في المستقبل تبنى عليه قواعد الحكومات واذا قيل ان الجماهير يخدعها الزعماء وتؤخذ بالمظاهر وتستمال الى العقائد التي تبث فيها بالايحاء والتكرار فهذه الأطوار لم تكن ملغاة في العصور الماضية ولا كان شأنها ضعيفاً في تصريف الأمم وقيادة الحكومات .

الا اني أرى ان مماثلة عيوب الحكومات الشعبية في الحاضر لعيوب الحكومات المستبدة في الماضي لا تنفي نقائص الحكومات الشعبية فإذا كانت الحكومات المستبدة فاسدة في الماضي فلا عذر للحكومات الشعبية في ان تكون فاسدة في الحاضر ، لا شك في ان النظام الديمقراطي أرفع ما وصل اليه عقل البشر من أشكال الحكم ولكن هل نتعمق قليلاً في الكشف عما يؤدي اليه هذا النظام في بعض الأمم ، أفلا نجد ان الحياة النيابية فيه تحرم في كثير من الأحيان البلاد التي يستفيض فيها عبقرية غير قليل من العلماء والفلاسفة والأدباء ومن هم من هذه الطبقات المستنيرة فلا يشتركون في حكم الأمة ولا يرجع الى رأيهم في سياستها وذلك لأنهم بعيدون عن الميادين الانتخابية فلا يخوضون مسالكها الوعرة اما من باب الحرص على كرامتهم لأنهم يترفعون عن هذه الأحقاد الحزبية التي تتأجج نيرانها في أثناء الانتخاب واما من باب النفرة من المظاهر الخداعة فإن علمهم المبني على الحقيقة وحدها

قد نزّهم عن استعمال الأساليب المبنية على شيء آخر غير الحقيقة مما يستعمل في غضون الانتخابات فان اللجوء الى الفاظ أصبحت مشهورة في الحياة النيابية يلجأ اليها أصحابها في الميادين الانتخابية للظفر بنياباتهم ثم تنقضي معارك الانتخاب واذا بهذه الألفاظ تتلاشى ولا حقيقة من ورائها ، أقول ان اللجوء اليها مما يترفع عنه العلماء والفلاسفة والأدباء فلا يرفع لهم صوت في المجالس النيابية ولا يكون لآرائهم السديدة تأثير ، فاذا كانت للحياة النيابية في النظام الديمقراطي نقائص فهذه أمور من جملة نقائصه .

ثم اذا قابلنا بين الحكومات المستبدة وبين الحكومات الشعبية وجدنا ان الروح فيها واحدة ، ففي الحكومات المستبدة يتسلط فرد من أفراد الأمة على ضمائرها وعقائدها وغير ذلك فيصرّفها كيف شاء وفي الحكومات الشعبية يتسلط حزب من الأحزاب على الأمة تسلط الفرد فيصرّفها كيف شاء وكثيراً ما نجد في مجلس نيابي خمسمائة أو ستمائة نائب ولكن الذين يقودون هؤلاء النواب أربعة أو خمسة ولما كانت القضايا في المجالس النيابية لا تحل الا بأكثر الأصوات فلا يصعب على خمسة نواب ان يجروا المجلس كله الى مشيئتهم وإرادتهم بالبلاغة أو بتأثير آخر ، فأين يصبح حق الشعب ، وأين يصبح حق تمثيله ، فإذا بحثنا عن الديمقراطية فمن الواجب علينا أن نشير الى هذه النقائص فيها ، فلم يكن حكم الفرد فاسداً بطبيعته ففي تاريخنا عصور كان الخليفة فيها مرجع كل شيء في الدولة وكانت هذه العصور أنضر ما عرفه التأريخ في العدل والإنصاف ، وكذلك نعرف عصوراً قد تكون حديثة نجد الشعب فيها مصدر الحكم في الدولة ثم نجد في هذا الحكم من سوء التصرف والسياسة والإدارة والخروج على القوانين والأحقاد وغير ذلك مما لا نجده في عصور حكم الفرد فالحكومات المستبدة لم تكن فاسدة بطبيعتها وانما نشأ فسادها عن فساد الذين كانوا مصدر الحكم فيها ، ولا ينبغي ان يستنبط من هذا القول تفضيل الحكومات المستبدة على الحكومات الشعبية التي أصبحت أفضل شكل من أشكال الحكم في هذا العصر ، وانما الذي أريد ان أقوله انما هو الإشارة الى نقائص الحكومات الشعبية فاذا ذهبت هذه النقائص وأشباهها كانت الحكومات الشعبية الغاية المثلى في الحكم .

ش . ج

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

ص ٣ س ٣ قوله : [وتفوهت بأخبار من نبغ من أهلها] أي أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى [تفوهت] نطقت . ولا يقال في مثل هذا المقام [نطقت] وإنما يقال [نوّهت] ففي كتب اللغة : نوّه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظّمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح النابغين من كل دولة ويشيد بذكرهم .

ص ٣ س ٩ قوله : [ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها] فعل التعريج يتعدى بعلى لا بالباء . ففي التاج [التعريج على الشيء الإقامة عليه ، وفي الحديث : فلم أعرج أي لم أقم ولم أحتبس] فالمعنى في عبارة المؤلف إنني لم أحبس قلمي على شيء إلا على الاشارة اليها ، ولم نجدهم ذكروا ان فعل التعريج يتعدى بالباء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : [ففتحها] صوابه [ففتحهما] إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعي

ص ٢٥ س ١٤ : لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد ﷺ قال المؤلف : [ونادى الى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ] فقوله [ونادى الى ذات اليمين] صوابه : [وأوى الى ذات اليمين] أي مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى: [إذ أوى الفتية الى الكهف] [أرأيت إذ أوينا الى الصخرة] وفي انحيازه صلى الله عليه وسلم الى جهة اليمين إشارة الى أنه من أهل الميمنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطرا الى قضاء الحاجة فبكيا [ثم أمرهما الملك ان يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء] يعني انه علمها آداب الاستنجاء في الإسلام ، كما علمها الوضوء فتوضآ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هي الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقوله [ثم يغتسلا بالماء] صوابه [ثم يغسلا] أي محل النجو بالماء بعد ان يكونا مسحاه بالمدر أي التراب

ص ٦١ س ١ قوله : [وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر] يسأل الملك لقمان إذا كان يريد ان يبقى في الحياة الدنيا بقاء سبع نويات تمر . والنويات جمع نواة فقوله [نوايات] بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : [فقال فتىً منهم حَدَث السن] خطأ صوابه [حديث السن] وعبارة المصباح [يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين] أي من دون إضافة حدث الى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمرَ الله الرياح الأربع [فضمت ما كان لأهل الرسّ من متاع الخ] هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقمّاً لا ضمّاً ، فصواب [فضمّت] : [فقمّت] ، يقال : قمّ البيت قمّاً كنسه . والقُمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرسّ يعبدون شجرة صنوبر يقال لها [ساب درحب] وقوله [درحب] كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه [درخت] بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر ، وهي كلمة فارسية معناها الشجر ، ومنه الشجر المسمى [ازدرخت] ، وأصله بالفارسية [آزاد درخت] ويحرفه عوام الشام الى [زنزلخت] و [زلزلخت] واسمه بالعربية [قيقب] و [قيقبان] ومما يحسن ذكره ان شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها [ساب درخت] كلمة [ساب] فيها تذكرنا بكلمة sapin الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا ُترى ؟

ص ٩٣ س ٢ :] كان يافث غرس شجرة الصنوبر المذكورة على شفير عين يقال لها [دوسات] . وكلمة [دوسات] كتبت بسين مهملة وتاء مثناة في الآخر . وصوابها [دوشاب] بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » . [الدوشاب نبيذ التمر معرب] . وذكرت كلمة الدوشاب في شعر لابن المعتز ، وكذا في شعر لابن الرومي ، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود . وقال السمعاني الدوشاب هو الدبس بالعربية . ا هـ قول الخفاجي : وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن [الدوشاب] في لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى ان [الشيرا] لفظة تركية معناها عصير العنب

الذي اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسمى بالعربية [مسطار] بضم الميم أو كسرها . وقد اختلفوا في أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل ان [الدوشاب] شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التي غرس يافث عليها شجرة الصنوبر المسماة [شاب درخت]

ص ٩٦ س ١٩ : [وهو الذي أنشأ كوثا ربا من أرض العراق] . قوله [كوثا] كذا بالألف ، وصوابه [كوثى] بالياء المقصورة لأن [كوثى ربا] ليس كلمة واحدة بل هما كلمتان : [كوثى] مضافة الى [ربا] قال صاحب كتاب «مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع» : (وكوثى بالعراق في موضعين [كوثى الطريق] و [كوثى ربا] وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قريتان الخ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة في آخرها . وفي القاموس وشرحه [وكوثى] بلدة بالعراق وتسمى [كوثى الطريق] و [كوثا ربا] من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح في النار) اهـ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها في هذه الصفحة وص ٩٨ وص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : [وبينما ابراهيم قاعداً] كذا بالنصب وصوابه [قاعد] بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً في أول ص ١٦٩ إذ قال ثمه : [فبينما هو مشتغلٌ بالذكر]

ص ١٠٨ س ١٠ : [وأدخل - أي ابراهيم الخليل - المضيق تحت الأرض] صوابه : [المطبق] . قال في مستدرك التاج : [المطبق كمحسن سجن تحت الأرض] ويؤيد هذا ما جاء في الصفحة نفسها س ١٥ : [وكان ابراهيم يسلّي أهل السجن]

ص ١١٢ س ١ : [فأمر بالتنور فأسجر فطُرح ابراهيم فيه] قوله : [فأسجر] مصدره الإسجار . ولم أعثر عليه في كتب اللغة وإنما هو ثلاثي سجره سجراً ، ومن التفعيل سجّره تسجيراً . ولا دخل للناسخ في هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف في غالب الظن

ص ١١٥ في السطر الرابع وسطور أخرى تلته ورد اسم [سارّة] زوجة ابراهيم الخليل مشدّد الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها [أميرة] كما

في قاموس الكتاب المقدس . وقد نبهت دائرة المعارف البستانية الى تخفيف راء [سارة] مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع على الألسنة في بلاد المشرق حتى ان معاجم اللغة العربية لم تشر في مادة [سرور] الى أن [سارة] زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربياً بل سكتت عن ذلك . ولعل في سكوتها ما يشعر بأن اسم [سارة] ليس من مادة السرور العربية . وعندي ان هذا هو الصواب إذ لا يعقل ان [ماحور] العبراني والد سارة يسميها باسم عربي في معناه عربي في اشتقاقه ، اللهم إلا اذا ادعى مدع بأن اسم [سارة] المخفف نقله العرب الى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه في قوالبها فشددوا راءه . وروى صاحب القاموس عن اللحياني [امرأة سرّة وسارّة تسرّك] وسمعت فتى يذكر أختاً له فسماها [سارّة] وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدي هو الذي سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشدداً قلت : لا كلام إذن وكأن جدك يعتقد ان اسم [سارة] عربي مادةً واشتقاقاً . أما إذا كنا نتحدث عن السيدة [سارة] العبرانية فيحسن ان نلفظ اسمها مخففاً كما سماها أبوها [ماحور] .

ص ١٢٥ س ٢٠ [ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تُشعل] ضبط فعل [تشعل] بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شَعل النار وأشعلها اذا ألهبها . ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه [تشغل] بالغين المعجمة من الشغل والاشتغال ، والمعنى ان امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان ، خرجت في الليل وبيدها السراج توهم زوجها الذي استكتمها الخبر انها مشغولة بأمور المنزل كتفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف . على انه يصح ان تكون [تشعل] من إشعال النار لكن يكون صوابه [تشعله] بضمير النصب والبناء للمعلوم أي توهم زوجها انها تريد ان تشعل السراج وتوقده لتستضيء في خدمة بيتها ثم انسلت الى فساق قومها

ص ١٢٧ س ٧ قوله : [حتى بلغ بها الى البحر] صوابه [بلغ بها البحر] من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف

لعدم ما يدعو اليه من نكت البلاغة التي تزيد في ايضاح المعنى أو تأكيده أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطلاً

ص١٣٢ س١٠ [غيابت الجب] كذا بتاء طويلة أو مجرورة وصوابه [غيابة] بتاء مربوطة كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف [غيابت] اتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٩ س ٧ [وقيل ان النساء خلون به ليعدّلنه لها] يعني ان نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل [يعدلنه] بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله اذا أقامه وسوّاه . فالنسوة بذلن جهدهن في تعديل يوسف وتقويمه لأجل امرأة العزيز ولأجل ان يواتيها على ما تريد منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ، وإنما المقام مقام حب وجفاء ، ونسوة أقمن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب والأليق بالمقام ان تكون [يعذلنه] بالذال المعجمة من العذل الثلاثي [أو التعذيل المزيد على الثلاثي للمبالغة] على معنى ان النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها

ص ١٥٤ س ١٤ قوله : [تبناك] صوابه [أتيناك] وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية [لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة المراضع] [حلبة] كذا بالباء الموحدة ، والحلبة خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه [حلية المراضع] بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيأته . فآسية لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

ص ٢١٣ س ٨ : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج [لهم نحيب بالتسبيح والتقديس] النحيب البكاء أو اشده اي انهم كانوا يبكون بسبب تسبيحهم لله - وهو ظاهر ، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام ان تكون [نحيب] مصحفة عن [نحيت] بتاء مثناة في آخرها وهو اللهث وشدة تتابع النفس

أي ان هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البهر وهو انقطاع النفس

ص ٢٢٠ س ٨ : في صفة أمة محمد ﷺ أنهم [يُصفون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة] وقد ضُبط فعل [يُصفون] بضم ياء المضارعة مجهولاً أي انهم قد صفهم صافّ . والأفصح ان يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفهم فصفوا اي اصطفوا فهو لازم متعد . ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً [والصافات صفاً] اي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها . وفعل الصف اذا أسند الى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند وصفت الملائكة والا استعمل مجهولاً : صُفت النمارق [ونمارق مصفوفة] صُفت السرر [على سُرُر مصفوفة]

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : [لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر] . قوله [إلا من الحساب] محرّف ، وصوابه [إلا مَرَّ الحُسبان] والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسالّ . يعني ان أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كمرور السهام . ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفاذ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : [يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية] وزاد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده : [مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر] فلا جرم ان الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص الى الجهة المقابلة من دون ان يمكث في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها . وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو . وكتبت [مثل ما] هكذا مفصولة . ولعل الصواب ان تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : [فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول] قوله [فحملوه] لعل صوابه [فحملوهما] أي حملوا كلا من الخضر وموسى وان كانوا لم يعرفوا إلا الخضر . ويشهد لما قلنا قوله بعد : [فلما ركبا في السفينة] بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٢ [لولا بنو اسرائيل لم يخثر الطعام ولم يخبث اللحم] قوله : [يخثر] بالثاء المثلثة أي يغلظ بعد ان كان مائعاً . ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما

صوابه [يخنز] بنون وزاي : خنز اللحم والجوز والتمر فسد وأنتن ، أي ان الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى . ويدل على صحة ما قلنا قوله بعده : [ولم يخبث اللحم] فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب ان يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هي خنوزه ونتنه أما خثوره أي غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على ان الطعام لا ينسب اليه الخثور وإنما الخثور للبن: يقال خثر اللبن خثراً وخثوراً وخثراناً غلظ واشتد بعد ان كان رقيقاً مائعاً

ص ٢٥٩ س ٢٠ [تقول العرب فوموا لنا أي اختبزوا] ضبط فعل [فوموا] بالتخفيف أي بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا . وصوابه [فوّموا] بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك في اللسان والتاج قالا : [يقولون فوّموا لنا بالتشديد يريدون اختبزوا]

ص ٢٧٠ س ١٠ وص ١٥ س ١٦ زمرى بن شلوم تزوج كستي بن صعور مرغماً لشريعة التوراة . فغضب موسى وأصيب بنو اسرائيل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل فنحاص الميزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظمهما وخرج بهما الى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحيته فرفع الطاعون ، قال : ومن أجل ذلك يعطي اليهود ذرية فنحاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا يخفى ان اللحية هي الشعر النابت على الذقن أي عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن ان يكون نقطة ارتكاز لحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل ان عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة الى « لبته » وكذا في السطرين الآخرين « اللبة » مكان « اللحية » ولبته مكان لحيته واللبة أعلى الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هي الزوْر وهو ما ارتفع من الصدر الى الكتفين . وما زلنا في المواسم ومواكب المحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها الى لباتهم أي اعلا صدورهم لا إلى لحاهم ولا الى ذقونهم ، على ان الذبائح التي يُعطى منها أولاد فنحاص لا يُعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية ، ولا لحى للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لباتها وأزوارها

ص ٢٧٠ : في آخر هذه الصفحة يحكي خبر [بلعام] وقد قدم على بني اسرائيل راكباً أتانه قال [فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضربها بلعام الخ] معنى [قامت به] وقفت به قال صاحب القاموس [قامت الدابة وقفت عن السير] فقوله : [وقد وقفت] بعد قوله : [قامت به] مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به [وقفت به الأتان وقد وقفت] وهو تكرار . فلعل قوله : [وقد وقفت] مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله : [قامت به فألحقها الناسخ بها في المتن أو هي مما جاء في صلب المتن تفسيراً لقامت ، ويكون أصل الجملة هكذا [قامت به الأتان أي وقفت] فحرف الناسخ كلمة [أي] التفسيرية الى كلمة [وقد] التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهر البطلان

ص ٢٧١ س ٥ : [قال موسى يارب بما سمعت دعاء بلعام علي فاسمع دعائي عليه] قوله [بما سمعت] لعل صوابه [كما سمعت] أي اسمع دعائي كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن [بما] لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

المغربي

آراء وانباء

البيان السنوي العام[1]

سادتي الأفاضل

بهذه الجلسة تنتهي جلسات المجمع في السنة المجمعية التي تبتدئ في تشرين الاول ١٩٤٣ وتنتهي في حزيران ١٩٤٤ . وقد عقد المجمع في هذه المدة ثماني جلسات عادية عامة ، بحث فيها بعض المباحث اللغوية والأدبية والتاريخية . وقرر بعد المناقشة ما عرض عليه من أمور علمية وادارية ومالية سيأتي بيانها . وثابر على اصدار مجلته في مواعيدها ، والقاء محاضراته العامة على الرجال والنساء . مع العناية بدور الكتب الملحقة به وغير الملحقة به ، والعمل على نشر الثقافة العربية بعقد الاسواق الأدبية والمعارض الفنية ونشر المخطوطات ، وتقدير المؤلفين وتشجيعهم بمنحهم جوائز او شراء عدد من مؤلفاتهم . مع اصلاح داره القديمة الأثرية متحرياً تجديد ما درس من معالمها واعادتها سيرتها الأولى في عدة نواح من مرافقها على قدر المستطاع وما تحمله الطاقة في مثل هذا الزمن المحفوف بالمصاعب ، الحرب في أواخر سنتها الخامسة . واستقبل عدداً غير قليل من العلماء والمستشرقين والوجهاء والرؤساء الذين مروا بهذه المدينة وهاداهم بعض منشوراته ، وحاضر بعضهم فيه أو شهد بعض جلساته

الأعمال العلمية

المجلة — يطرد صدور المجلة في مواعيدها منذ اعادة تنظيم المجمع سنة ١٩٤١ بعد ان توقفت فترة من الزمن . وقد صدر منها الى الآن ثمانية عشر مجلداً واكثر اجزاء المجلد التاسع عشر ، وفيها من البحوث والمقالات والدراسات ما يعتبر حجة وثقة وقل ان تجد مجلة في العالم العربي يعتمد الباحثون عليها ويتخذونها من المصادر المعتبرة كمجلة المجمع ، فالمؤلفون المعاصرون ودوائر المعارف الحديثة تشير اليها في مصادرها ، ولا تكاد تجد مجلة فازت بمثل هذه الثقة . وهي سائرة نحو الكمال بهمة أعضائها العاملين والمراسلين ومن يراسلها من أهل العلم والأدب .

(١) قرأه معالي الرئيس في جلسة الختام التي عقدها المجمع في ٢٩ حزيران سنة ١٩٤٤

المحاضرات – التي في المجمع من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى أيار ١٩٤٤ ثلاثون محاضرة عامة اربع وعشرون منها للرجال وست للنساء في مواضيع متعددة لغوية وعلمية وأدبية واجتماعية وطبية وحقوقية وتاريخية وفلسفية ، قام بها عدد من اعضاء المجمع وغيرهم من أهل العلم والأدب . ولئن لم تكن كل المحاضرات على مستوى واحد فان الجهد الشخصي فيها ظاهر واضح وبعضها جيد بالغ . وقد كانت الردهة تغص بالمستمعين في كثير من المحاضرات ، وعددهم في كل المحاضرات غير قليل ، وقد كانوا يحسنون الاستماع وعلامات الاهتمام بادية على وجوههم . أما محاضرات النساء فقد كان السيدات يقمن على كل شؤونها فالمحاضرة والمستمعات منهن لا دخل للرجال بشيء من ذلك . على ان الشيء الوحيد الذي استدرك على المجمع في هذا الشأن كثرة عدد المحاضرات فقد كانت تبلغ في بعض الأشهر ست محاضرات اربع للرجال واثنتان للنساء . ولعل المجمع يقرر شيئاً في هذا الشأن في الموسم القادم فيحط من عدد المحاضرات ويرفع من قيمتها من حيث الامعان في البحث والإجادة في العرض .

نشر المخطوطات — سبق للمجمع ان نشر في مجلته وعلى حدة بعض المخطوطات النادرة كنشوار المحاضرة للقاضي التنوخي الجزئين الثاني والثامن ، وقانون البلاغة لابن حيدر البغدادي ، وديوان الوليد بن يزيد ، وبحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي ، والمنتقى من اخبار الأصمعي للإمام الربعي ، والتبصرة بالتجارة للجاحظ ، وتكملة اصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي وغيرها . وهو يشتغل الآن بتحقيق أربعة كتب واعدادها للنشر وهي تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي وانا أقوم بتحقيقه . وديوان ابن عنين شاعر الشام في الدولة الأيوبية يقوم بتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك ، ورسالة الملائكة للمعري وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع منها من قبل هو المقدمة ، يقوم بتحقيقها والتعليق عليها الأستاذ سليم الجندي ونرجو ان يتم طبعها في مهرجان المعري بعد ثلاثة أشهر . والرسالة الجامعة للمجريطي يقوم بتحقيقها الدكتور جميل صليبا وهي تتمة لرسائل اخوان الصفا او فذلكة لها .

الجوائز — للمجمع ثلاث جوائز سنوية يمنحها ثلاثة ممن جودوا من المؤلفين أو المترجمين السوريين تقديراً للعلم والأدب ورفعاً لشأنهما . وقد منح المجمع في هذه السنة الأمير مصطفى الشهابي احدى الجوائز لإجادته في معجم الألفاظ الزراعية ومنح الدكتور أسعد طلس احدى الجوائز لإجادته في نشر كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادي وتحقيقه والتعليق عليه وتأليف ذيل له . والمجمع يرجو ان تكون جوائزه من بواعث المسابقة في مضمار التأليف والترجمة .

مهرجان المعري — اجتماع أهل العلم والأدب على اختلاف الأقطار والأجناس في مؤتمرات العلم وأسواق الأدب من أعظم البواعث على رفع مستوى الثقافه وبخاصة اذا كان السبب الاحتفال بذكرى احد النوابغ العظام . وقد رأى المجمع ان يقيم مهرجاناً عظيماً في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ يدعو اليه عدداً من اعضائه المراسلين في جميع الأقطار ممن يمكن ان تبلغه الدعوة ليشتركوا مع إخوانهم الأعضاء العاملين في الإشادة بذكرى النابغة العظيم ابي العلاء المعري لمرور الف سنة على مولده وسيستمر المهرجان أسبوعاً يتبارى فيه كبار الأدباء والباحثين والشعراء في دراسة هذا الرجل الانساني الكبير وما وصل الينا من آثاره ، ومبلغ أثره في الثقافة والأدب والأخلاق . وستكون أيام المهرجان موزعة بين دمشق وحمص وحماة والمعرة وحلب واللاذقية وبلودان . ولا شك في ان مجموعة ما سيقال وينشد في هذا المهرجان سيكون احسن مجموعة عن المعري ابداعاً وتحريراً . اضف الى ذلك بهجة اجتماع اقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية وغيرها في صعيد واحد لتكريم الأدب العربي في شخص ابي العلاء وتخليد ذكراه . والفضل الأعظم في تحقيق هذه الفكرة النبيلة يعود الى فخامة رئيس الجمهورية الذي رحب بها واعارها اكبر قسط من الرعاية والعناية وأمر بأن يساهم في شرفها عدد من المحافظات الشامية . ولوزارة المعارف عمل صالح في تقديم مشروع المهرجان المالي وكفالته .

معرض الكتاب العربي — وقد رأى المجمع ان يعقد معرضاً للكتاب العربي مدة المهرجان تعرض فيه نفائس المخطوطات والوثائق وما امتازت به المخطوطات العربية

من الفن البارع في الزينة والزركشة والتذهيب والتلوين • ويشترك في عرض هذا النوع من الكتب دار الكتب الظاهرية وبعض أرباب خزائن الكتب الخاصة •
والمجمع آخذ في تهيئة أسباب هذا المعرض ويرجو ان يتوفر لديه العدد الكافي من كتب اصحاب الخزائن الخاصة على سبيل الاعارة ليجمع بين الفائدة والاعجاب والمتعة •

دور الكتب — يرتبط بالمجمع ثلاث دور للكتب • خزانة كتبه الخاصة ودار الكتب الظاهرية في دمشق ودار الكتب الوطنية في حلب • اما خزانة المجمع فهي خاصة به مقصود في جمعها أمهات الكتب والمراجع الموثوق بها والمصادر المعتبرة في العربية والافرنسية والانكليزية وفيها من الكتب العربية المطبوعة في أوربا مجموعة قيمة فضلاً عن نسخ من نوادر المخطوطات مأخوذة بالتصوير الشمسي • وعلى هذا السبيل تختار كتبها التي يبلغ عددها (٣٨٨٦) مجلداً منها (٨١) مجلداً فوتوغرافياً و (١٨٥٤) مجلداً عربياً و (١٩٥١) مجلداً افرنجياً وقد دخل اليها سنة ١٩٤٣ ثلاثمائة وثمانون مجلداً منها (٢٧٠) مجلداً عربياً و (١٠٧) مجلدات افرنجية •

وأما دار الكتب الظاهرية فهي عامة لجميع المطالعين ولما استلمها المجمع كانت أشبه بدور الكتب الخاصة او اشبه بغرفة أثرية لأنها كانت عبارة عن (٢٠٤٨) مخطوطاً لا يجوز ان تتداولها ايدي المطالعين و (١٠١٨) مطبوعاً مخزونة كلها في غرفة واحدة وباقي البناء كان مدرسة ابتدائية فعمل المجمع على نقل المدرسة وجعل البناء كله خاصاً بالمكتبة وما زال المجمع يزيد في عدد كتبها المخطوطة والمطبوعة على سبيل الشراء والاستهداء حتى بلغ عدد ما فيها من الكتب في أوائل هذه السنة نحواً من ستة وثلاثين الف مجلد • ونسبة زيادتها في السنة الماضية وهذه السنة تفوق جميع النسب في السنين الخالية فقد دخل اليها في سنة ١٩٤٣ (٢٥٥٩) مجلداً منها (٣٦٣) مخطوطاً والفضل في ذلك راجع الى التوسيع عليها في مخصصات شراء الكتب والى ما يهدى اليها من أهل البر والفضل نخص بالذكر منهم بني الطنطاوي وبني المنير والسيد طاهر ابو حرب فقد أهدوا اليها عدداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات • وأهدت هي في هذه السنة الى مكتبة اللاذقية (٥٨٢) مجلداً ورسالة والى مكتبة كفر تخاريم (٢٧٤) مجلداً ورسالة والى مكتبة السويداء (٨٥) مجلداً ورسالة •

دار الكتب الوطنية في حلب — قدم المجمع في ٢٣ شباط ١٩٤٤ الى وزارة المعارف تقريراً مفصلاً عن هذه الديار وما تحتاجه من الاصلاح بعد ان اخلتها مصلحة الدفاع السلبي ومصلحة الخرائط الانكليزية . نظم هذا التقرير محافظ دار الكتب الظاهرية الذي أوفده المجمع الى حلب لهذه الغاية وخلاصته ان الدار المذكورة بحاجة الى اصلاح وترميم وخزائن ومفروشات وزيادة ثلاثة موظفين وقدر لذلك مبلغ (٢٧٠٠٠) ليرة سورية .

الأعضاء الراحلون

فجع المجمع في السنة الماضية وهذه السنة بعدد من أعضائه الأجلاء وهم :

الأستاذ بدر الدين النعساني (حلب) — العالم الأديب النقادة طلب العلم في الأزهر وطالت في طلب العلم والاشتغال به رحلته ، والف وهو شاب في مقتبل العمر كتاب التعليم والارشاد وهو من أحسن ما الف في اصلاح التعليم في الأزهر . ثم توفر على تحقيق كتب العلم والأدب وتصحيحها واعدادها للنشر فحقق منها عدداً عظيما جداً وكلها تحمل اسمه في صدرها . وزار الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب ودرس أحوالها واطلع على شؤونها فازدادت معارفه واتسعت خبرته . واشتغل بالصحافة في مصر والشام والحجاز ثم انصرف الى تعليم الأدب العربي في مدارس حلب وكان في كل ما عالجه من الأعمال من المتقنين المجلين .

الشيخ سليمان الأحمد (اللاذقية) — شيخ العلويين وإمامهم جمع الى سعة العلم كرم الأخلاق واستقامة الأحوال وكان مرشداً ناصحاً يعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ويضم بالعلم والاخلاص ما فرقته يد الجهل والمكيدة ومنزلته في علوم العربية وآدابهـا منزلة رفيعة .

الأستاذ رشيد بقدونس (دمشق) — تخرج بالمدرسة الحربية وكان من ضباط الجيش العثماني ولكن الصفة العلمية غلبت عليه . درس الافرنسية واليونانية والفارسية وأجاد العربية والتركية وكان ذا صبر على التحقيق طويل الأناة شارك في وضع مصطلحات الجيش العربي في عهد الملك فيصل وكتب أبحاثاً في اللغة والخط العربي والف في التاريخ ودرس العربية والتاريخ في مدارس دمشق .

الأمير عمر طوسون (مصر) — الأمير العالم صاحب الاعمال المبرورة والايادي البيض على العلم والثقافة جمع الى كرم المحتد سعة العلم وكرم الأخلاق وعمل الخير ولم تصرفه كثرة اعماله عن الاشتغال بالعلم والتأليف بل كان من اكثر العلماء إنتاجاً ومؤلفاته تبلغ أربعين كتاباً ٠

الأستاذ متفوخ — المستشرق الألماني عني بتاريخ العرب قبل الإسلام وبخاصة عرب اليمن وتاريخهم وأحوالهم ونشر شيئاً كثيراً من الكتابات اليمنية ٠ وعني أيضاً بحال الإسلام في (طوغو) و (الكامرون) ٠ ونشر كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الاصفهاني ٠

الأستاذ٠ د٠ب٠ مكدونلد (اميركا) — كان عالماً بالعربية والعبرية والسريانية والعلوم الاسلامية وهو من أوسع المستشرقين معرفة بالدين الاسلامي وقد الف فيه عدة كتب ٠ ومحاضراته ومقالاته عن الثقافة الاسلامية في أكثر نواحيها كثيرة جداً وكان له عناية عظيمة بكتاب الف ليلة وليلة ومجموعة النسخ التي لديه من هذا الكتاب لا تضاهيها مجموعة في العالم ٠

وكل هؤلاء من أعلام العلماء وأصحاب الايادي البيض على العلم والأدب وقد جلت رزيئة المجمع بفقدهم رحمهم الله وأثابهم خير الجزاء واحسن عزاء المجمع عنهم ٠

الأعضاء الجدد — انتخب المجمع الأستاذ عباس العزاوي (بغداد) والدكتور داود چلبي (الموصل) والأستاذ جب (لندن) أعضاء مراسلين وجدد انتخاب الاستاذ عارف النكدي عضواً عاملاً وكلهم من خيرة العلماء مشهود لهم بسعة الاطلاع ومواصلة العمل ٠

موازنة المجمع العلمي وداري الكتب الظاهرية والحلبية — كانت اعانة الحكومة للمجمع العلمي العربي في عام ١٩٤٣ مقدرة بمبلغ (٦٧١٣٠) ليرة سورية وقد تحققت في نهاية العام المذكور بمبلغ (٧١٥٠٣/٥٤) ليرة سورية وهذه الزيادة حصلت من اعانة المندوبية وقدرها (٧٥٠) ليرة سورية ومن مبلغ (٣٣٠٠) ليرة سورية منحة الحكومة للموظفين بموجب القانون رقم (٨) المؤرخ في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٤٣ ٠ وقد صرف هذا المبلغ حسب فصول الموازنة وموادها على الشكل الآتي (٣٦٩٨٦/٨٨)

ليرة سورية للرواتب و (٢٤٩٧٦/٢٤) ليرة سورية للنفقات وقد تحقق في نهاية العام المذكور وفر مقداره (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية . وفي عام ١٩٤٤ أعطت الحكومة المجمع العلمي اعانة قدرها (٨٠٠٠٠) ليرة سورية اي بزيادة مبلغ قدره (١٢٨٧٠) ليرة سورية عن العام الماضي أضيف اليها الوفر المتحقق في عام ١٩٤٣ وهو (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية وواردات المجلة المقدرة بمبلغ (٣٠٠) ليرة سورية وبذلك صار المبلغ الاجمالي لموازنة عام ١٩٤٤ (٨٩٨٤٠) ليرة سورية ستصرف حسب الموازنة على الشكل الآتي : (٤٣٨٧٦) ليرة سورية للرواتب و (٤٥٩٦٤) ليرة سورية للنفقات .

وأريد ان أسجل شكر المجمع للرئيسين الجليلين رئيس المجلس النيابي ورئيس الحكومة على موقفهما النبيل عند مناقشة موازنته وللنواب المحترمين الذين أبدوهما في هذا الشأن .

أعمال الاصلاح والترميم في المجمع — هذه المدرسة العادلية الكبرى المتخذة داراً للمجمع من أجلّ مدارس دمشق وأفخمها وأحفلها تاريخاً بالعلم والعلماء ، تسلسل فيها نشر العلم ولاح فيهــا مصابيح من أعلام هذه الأُمة كابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، ولم يكد يخبو ضوء العلم في جوها . والمجمع حريص على حياطتها وترميمها واصلاح ما تشعث منها واماطة الأذى عن معالمها واعادة ما عفا من رسومها شيئاً بعد شيء مع الزمن وعلى قدر الطاقة ، وما قام به المجمع من هذه الأعمال منذ اتخذها داراً له ماثل للعيان في كل طرف وناحية وزاوية فيها وآخر ما عزم عليه تبليط صحنها الفسيح وإعادة بركة الماء في وسطه على الشكل الذي كانت عليه ليالي كان ابن خلكان يطوف حولها مترنماً بأنشودته العذبة اللطيفة . ولدار الآثار ومهندسها الفاضل المسيو آمي سعي مشكور في هذا العمل فهو الذي أحكم خطة العمل ولاءم بين الحاضر والماضي وجعل الجديد صورة عن القديم . كل ذلك من غير ان يرزأ المجمع بيت المال بشيء ، بل قتر على نفسه واقتطع من صلب موازنته ما يقتضيه هذا العمل من النفقات المقدرة بـ (١٦٥٠٠) ليرة سورية وآثر التقتير على نفسه حياطة لهذا المعهد الكريم وتجملاً بإظهار ما خفي من محاسنه .

هذا بيان ما قدر للمجمع ان يقوم به في هذه السنة فان كان فيه شيء يستحق الحمد فبفضلكم ومؤازرتكم أيها العلماء الأجلاء وأريد ان أخص بالشكر صديقي معالي العلامة السيد خليل مردم بك أمين السر العام على توفره على أعمال المجمع ودؤوبه على ما فيه مصلحته وأتقدم بالثناء على اللجنة الادارية التي اضطلعت بما عهد به اليها من عملها وعمل غيرها على أحسن وجه . مثابرةً على العمل واتقاناً له وحسن تصرف فيه وانا لنرجو ان يكون عملنا في المستقبل أعظم منه في الماضي والحاضر ان شاء الله ·

على ذكر « الفند »

اطلعت في الآونه الأخيرة ، على ما دار حول « الفند » من آراء مختلفة نشرها أصحابها في هذه المجلة ·

ولعل الخطب في « فند » وفي أمثال « فند » أكانت عربية أم لم تكنها ؟ أيسر من ان يتسع لما اتسع له هذا البحث ، وأنا اعود اليه مرة أخرى ، فأضيف هذه الكلمة الى كلماتهم · فليست اللفظة بمنطوية على معنى جليل نحرص عليه ، وما هي متضمنة تعبيراً دقيقاً نحتاج اليه ، فنطيل فيها الكلام ، لندعي نجرها ، ونحتكر نجرها

غير ان الذي يدعو الى معالجة مثل هذه الموضوعات والعودة اليها حيناً بعد حين ، ليست قيمة الكلمة نفسها ، ولكنه هذا الحرص الملح ، يظهره كثير من الكتاب العرب ، في كثير من الأحيان ، ليجدوا للفظة العربية البحتة — مخرجاً يخرجونها به من لغتنا العربية ، ليدخلوها في لغة اجنبية وما أدري لهذا سبباً ، الا ان يكون من قبيل رد الفعل لما كان عليه قومنا من قبل ، من ان ادعاء الالفاظ واستلحاقها ، بحيث كادوا لا يتركون لفظة اتصلت بهم — ولو كانت في بعض الأحيان علماً على بلد أو شخص — وقد زعموها عربية، فحاكوا لها صيغة، واصطنعوا لها اشتقاقاً ؛ منتحلين في ذلك اسخف السبب ، متكلفين اضعف النسب · يفعلون ذلك في الأكثر تعصباً للغتهم، واعتزازاً بها [1]

(١) ومن مضحكات هذه التأويلات ما وقفت عليه في شرح التاج وأنا أراجع مادة « فند » قال وجاؤوا من كل فند ، (بالكسر) أي من كل فن · قلت: ومنها اشتقاق لفظ الافندي لصاحب الفنون زادوا ألفاً عند كثرة الاستعمال، ان كانت عربية، وقيل رومية معناه السيد العظيم الجزء ٢ ص٤٥٥

واليوم عاد الأمر معكوساً ، فما هو الا ان يقف أحدنا من كلمة من الكلمات العربية ، موقف المتردد في فهمها المتسائل عنها ، حتى يدخل الريب من عروبة الكلمة في قلبه ، ثم لا يلبث هذا الريب ان ينقلب في نفسه أو في نفوس الساخرين يقيناً .

تردد أستاذنا المغربي في لفظة « فند » العامية . فكان مما قاله فيها : « والفند عدة شمعات تباع في غلافها المتخذ من الورق الثخين الأزرق . ويقال أحياناً دزينة شمع ، فكان (فند شمع) .. ثم قال : « وسألت اخواننا أهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا : انهم لا يعرفونها ، ولا سمعوا بها » .. ورجع الى الفرائد الدرية فاذا معنى هذه اللفظة « شمعة وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان أكثر استعمالها بين عامة لبنان » وتساءل الأستاذ بعد ذلك عما اذا كانت هذه اللفظة فارسية أم عربية ؟ فرجح عروبتها « وجوّز لنا ان نتبناها ، وندعيها حتى تقوم لغة اخرى فنستلحقها » .

هذا كل ما قاله الأستاذ في فارسية هذه اللفظة ، وزاد على ذلك ان قال : وأخيراً رجعت الى الحاج علي الكبير الشيرازي وهو شيخ معمر من النزلاء الايرانيين بدمشق .. فقال انه لا يعرفها » ..

وقول الأستاذ هذا ، لا يخرج عن انه سانحة من سوانح الفكر ، لا يثبت لهذه الكلمة في غير العربية شيئاً ، غير ان هذا الشك الضعيف ، مالبث ان أصبح يقيناً لا يقبل الريب

فقد جاء الدكتور الكواكبي بعد ذلك يعقب على كلمة الأستاذ مؤكداً فارسية « الفند » تأكيداً جازماً ، ويقطع بأن أصلها « بند » بالباء الموحدة ومعناها : الربطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد[1] . وان استبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية أمر لا يحتاج الى تدليل . وان الفند من أصل فارسي لا ريب فيه » .

وقد ردّ الأستاذ الكرملي على الدكتور الكواكبي نافياً فارسية « الفند » مثبتاً عروبتها ، بما لا نحتاج معه ان نزيد عليه غير هاتين الملاحظتين :

(١) أنكر الأب الكرملي على الدكتور الكواكبي ان يكون للبند هذه المعاني واكتفى بأن قال : ومعنى البند عندهم (أي الفرس) الحيلة ، أو الاسلوب الدقيق في الحيل الى معاني معروفة في الفارسية ومعروفة في معاجمهم ونحن لا نعرف الفارسية الا ان المعاني التي ضمنها العرب : خاصتهم وعامتهم للفظ البند وأشرنا الى بعضها في هذا المقال تؤيد رأي الدكتور . الا اذا كان عند الأب العلامة ، أو أحد علماء الفرس ، ما ينفي هذه المعاني التي عددها الدكتور وذكرنا نحن ما فرّعه العرب عنها .

العرب يبدلون الفاء بالباء المشددة (أي المثلثة) بالباء المخففة (أي الموحدة)

٢ — « البند » الفارسية أخذها العرب بلفظها فقالوا : « البند » في العلم الكبير — وقالوا في لغة القانون : « قلعة بند » بمعنى « سيف القلعة » أو « قيد القلعة » وذلك بأن يوضع المحكوم عليه في قلعة ، أو في مكان لا يبارحه حتي تنتهي مدة إعتقاله . وقالوا أيضاً : البند والبنود بمعنى المادة والمواد ، او الشرط والشروط . وتقول العامة : فلان صاحب « البند والعلم » اي ذو وجاهة وسلطان أو شأن . كما تقول : بند السيف أي حميلته ، وبند الساعة اي علاقتها ، الى غير ذلك . وفي كل هذا ابقت الخاصة والعامة من العرب « البند » على لفظه الفارسي . فلو ان « الفند » العربية كانت « البند » الفارسية لاحتفظ لها بلفظها هنا ، كما احتفظ لها بلفظها في المعاني العربية التي ذكرناها لها

وقد يكون الدكتور الكواكبي ذهب الى فارسية الفند لقول الأستاذ المغربي « والفند: عدة شمعات ، ويقال: (دزينة شمع) مكان (فندشمع)» ولما كان البند هوالربطة والرباط فيكون الفند في رأي الدكتور من هنا استعير . ولعله على هذا بنى حكمهالقاطع .

فعلينا ان نعرف هل العامة وهل « الفرائد الدرية » الذي استند اليه الأستاذ المغربي في البحث عن هذه الكلمة العامية يستعملون « الفند » بمعنى « عدة شمعات »

نقل الأستاذ عن « الفرائد الدرية » ما أشرنا اليه من قبل ، وننقله الآن بحرفه : « فند الشمع وجمعه فنود cierge bougie وضبط فاء الفند بالكسروعهدي بالطرابلسيين انهم ينطقون بها بالفتح ، وجمعها في الفرائد على فنود والا ينبغي ان تجمع على أفناد ، اذا صح أنها مكسورة الفاء . وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان اكثر استعمالها بين عامة لبنان [١] .. »

نقول : مامعنى cierge ؟ قال لاروس في تفسيرها « هي لفظة لاتينية معناها الشمعة الكبيرة تستعمل في الكنائس .. » وأما bougie فهي مأخوذة من بوجي : مدينة بالجزائر

---

(١) أما ما جاء في الفرائد الدرية فهو هذا cierge bougie وقد وضعت الى جانب هاتين اللفظتين الفرنسيتين العلامة التي قالوا فيها في مقدمة هذا المعجم انها اذا وضعت أمام الكلمة العربية دلت على ان هذه الكلمة لا تستعمل الا في اللغة العربية العامية في سورية خاصة . واذا هي وضعت أمام الكلمات الفرنسية تدل على ان هذه الكلمات تعبر عن المعنى العربي العامي نفسه .

يكثر فيها الشمع الذي تصنع منه الشموع ومعناها الاصطلاحي: الشمعة ذات الفتيلة المجدّلة ..»

وفي بللو المعجم اليسوعي الفرنسي العربي «الفند: الشمعة الصغيرة . ونحن اذا رجعنا الى عامة لبنان، الذين يشير اليهم الأستاذ ممن يستعملون هذه اللفظة (لأنها ليست عامة عند عامتهم) نجدهم يطلقون «الفند» على هذه الشمعات التي وصفها الأستاذ بأنها تباع في غلافها .. بل الفند عندهم هو الشمعة الواحدة الكبيرة ذات التضاريس والتلافيف يشعلونها في المآتم: من اعراس ومناحات ويوقدونها في الأديار والمقامات

فهذا كله — وفيه مصادر أستاذنا المغربي — تثبت ان الفند هو الشمعة لا عدة شمعات[1]، وينتفي به مايمكن ان يقال من ان الفند هو «ربطة الشمع» أو (دزينته) ليجوز القول بأنه منقول عن البند الفارسية .

وبقي ان يقال ان اللفظة سريانية وهو ما نقله لي الأستاذ عن أحد علماء اللغة السريانية وهذا قول لا يُقبل على اطلاقه، ما لم يقيده نص صريح على ان «الفند» هو الشمعة بوضعه اللغوي في الأصل السرياني .

أما اذا كانت الحجة على سريانية استعماله في لبنان، فهذا مردود بأن هذه اللفظة أكثر ما تستعمل في غير مواطن السريانية يستعملها قوم من العرب الاقحاح لا يمتون الى السريان ولا الى السريانية بصلة من دم ولا لسان

فالفند لفظ عربي بمعنى «الجبل العظيم، او قطعة منه طولاً — وزاد بعض — في دقة، وهو الغصن» (شرح التاج)

وفي محيط المحيط: «الفند .. الغصن ومنه فند الشمع على التشبيه .» فكأن العامة او بعض الخاصة شبهوا هذه الشمعة بالغصن لطولها ودقتها، وقد يكون لجامعة الازهار بين النور والنور . والنسبة اللغوية تضل بأدنى سبب فكيف اذا تعددت الأسباب . وهذا التشبيه موفق يقره البيان العربي والذوق والمجاز . وقد سبق لبعض المتقدمين ان استعملوه، فلا علينا ان نقتدي بهم وان تقر المجامع اللغوية هذه اللفظة لهذا المعنى .

عارف النكدي

---

(١) أما استعمال أهل طرابلس الذي أشار اليه الأستاذ فاما أن يكون خاصاً بهم وهذا مااستبعده، واما ان يكون ما ذكره الأستاذ سهواً لبعد عهده فيه .

ديوان الحكمي (ابي نواس)

استفسر مني بعض الاخوان عن نسخة من شرح ديوان الحكمي لحمزة الاصفهاني ومن المؤسف اني لم أقف على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة عراقية خاصة أو عامة على كثرة الحافي بالسؤال عنه وعن أمثاله مما يستضاء به لاجتلاء شعر الحكمي . وقد كتبت الى أحد اعلام النجف ممن يعنى بهذه الشؤون استطلع طلعه في هذا الباب فجاءني جوابه اليوم يقول: انه لم يتذكر انه اطلع على هذا الكتاب في مكتبة ما . مع ان النجف تضم خزانات غنية في المخطوطات . وفي الطليعة منها الخزانة العلوية ذات الكتب القيمة .

ولعمري اني لشديد الرغبة في الوقوف على كتاب في شرح ديوان هذا الشاعر الفذ، لأني مولع بتصفح شعره . قوي الشغف به . و قد اعترضتني في سبيلي هذه عقاب تعسر قطعها . وجلها متأتية من ناحية التصحيف والتحريف .

ثم ان الحكمي بعيد الغور في أغراضه . دقيق الملاحظة في أهدافه . وكثيراً ما يكون للزمان والمكان والأحوال الاجتماعية القسط الأوفر في استجلاء تلك المرامي . من أمثلة ذلك قوله (ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر) فاني وجدت الكثير من حملة الأقلام يسألون عن النكتة في قوله (وقل لي هي الخمر) بعد قوله (اسقني خمراً) ويتناقلون جواباً قديماً بأنه يريد ان يملأ أذنه باسمها ليتم بذلك إشباع حواسه الخمس منها . وهذا جواب سطحي لأن الشاعر ليس في سبيل إشباع الحواس وانما هو في سبيل المجاهرة باللذائذ . وعدم الخوف من الناس في اقترافها يشير الى ذلك قوله (ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر الخ) والذي ظهر لي بعد انعام الفكرة ان الشاعر انما يرمي الى التعريض بأولئك المرائين الذين يشربون الخمر متسترين باسم النبيذ . والنبيذ طليق عند فقهاء العراق ، والحدود بينه وبين الخمر ليست بحصينة . فإذا قيل لأحدهم أنت تشرب الخمر قال : لا . وانما أشرب النبيذ . فالحكمي يرى مصارحة ابناء جيله على المكشوف . ويقول لساقيه : قل لي : هي الخمر . ولا تتحجج باسم النبيذ وحال ابي نواس تفسر لنا هذا بأوضح مما يفسره لفظه .

واذا نحن فزعنا في هذا الشأن الى كتب الأدب لا نجد فيها ما ينقع الغلة .

ويشفي العلة لأن جلها لم تعر شعر المولدين والمحدثين التفاتاً . والتي التفت اليه لم تعن بالشرح والايضاح العناية المطلوبة . زد على ذلك طغيان تيار المسخ في النسخ . وتفاقم أمري التصحيف والتحريف ولا سيما حين خوى نجم التحقيق . وكسفت شمس التدقيق ، في القرون المظلمة الأخيرة .

هذا المبرد اقتطف من ازاهير المولدين الشيء الكثير ولكنه قلما عني بايضاح الغامض منه . اعتماداً على انه كان من الوضوح بحيث لا يحتاج الى ايضاح ولكن غبار الأيام تكاثف على الكثير من ذلك حتى استبهم أمره وأشكل .

بلغني ان أحد أشياخ الأدب في مصر كتب على الكامل تعليقات تكشف منه الغامض . وتوضح المبهم . وتتم الناقص . وأسمى تعليقاته هذه (رغبة الآمل) ولما تمّ لي الوقوف عليه . وجدته على غرار أصله في عدم تعهد هذا النوع من الشعر بالشرح والايضاح ، واذا تجشم الشرح فانه ربما يغرب فيأتي بالمضحك . يقول ابو نواس في خصيبيته المشهورة :

اليك رمت بالقوم هوج كأنما   جماجمها تحت الرحال قبور

ويرويه المبرد في كامله هكذا :

اليك رمت بالقوم خوص كأنما   جماجمها فوق الحجاج قبور

ويعدّ ذلك من جيد التشبيه . ثم يأتي المرصفي فلا يزيد على تفسير (الحجاج) بأنه : العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب . أما وجه التشبيه فبقي في صدر الشاعر :

يروي المبرد قول الحكمي من مقطوعة هي غاية في الابداع وبراعة التصوير :

تدار علينا الراح في عسجدية   حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها   مها تدّريها في القسي الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

فيقول الشيخ المرصفي ما نصه : (ما زرت) : يريد ماشدت عليه أزرار جيوب الندامى من الذهب والفضة . يغالون في مهرها (وللماء الخ) : هذا تعريض برؤوس الفقهاء والأغثاث ليس لها الا الماء تتبرد به « انتهى كلامه » . مع ان ابن هانئ لم يخطر له هذا المعنى ببال عندما رسم هذه الصورة البارعة . والذي يرمي اليه ان تلك

الصور المحلاة بها هاتيك الكؤوس لم تكن لمجرد الزينة بل هي بمثابة مقياس لتحديد كمية الخمر وكمية ما يمزج بها من الماء . فالخمر تكون الى أعناق تلك الصور (وهي مزرّ الجيوب ثم تمزج بالماء الى ان تغمر رؤوسها . (وهي مدار القلانس) . وقد كانوا يعنون بمقاييس الخمر وما يمزج بها عناية كبيرة .

بغداد طه الراوي

كتب المساجد في الشام

نشر الأستاذ محمد أسعد طلس كتاباً في مساجد الشام ، هو (ثمار المقاصد في ذكر المساجد) ، فله الفضل الكبير في تقديم هذه التحفة النفيسة للعالم العربي والاسلامي، وعندي بعض الكتب المخطوطة في المساجد كتبها علماء شاميون أودّ اطلاع القراء الأفاضل عليها :

١ – كتاب تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد : للشيخ تقي الدين ابي بكر ابن زيد الجراعي[1] الحنبلي الامام العلامة الفقيه القاضي كان رفيق الشيخ علاء الدين المرداوي في الاشتغال على الشيخ تقي الدين قندس ، وباشر نيابة القضاء بدمشق ، وتوجه الى الديار المصرية ، فاستخلفه القاضي عز الدين الكناني في الحكم ، وباشر عنه بالمدرسة الصالحية . ومن مؤلفاته الكتاب المذكور ، و(غاية المطلب في معرفة المذهب)، و (الألغاز الفقهية) ، و (شرح أصول ابن اللحام) ، و (تصحيح الخلاف المطلق) . وتفصيل ترجمته في غلاف الكتاب المذكور . وتوفي سنة ٨٨٣ هـ — ١٤٧٨ م ، والف كتابه في ٥ ذي القعدة سنة ٨٧٣ هـ — ١٤٦٧ م

٢ – تسهيل المقاصد لزوار المساجد : للشيخ شهاب الدين احمد بن العماد الأقفهسي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م ، وفيه مطالب علمية وتاريخية لا يستهان بها وعندي له كتاب في الحمامات وآخر في آداب الأكل ...

والآثار المذكورة في موضوع المساجد وهي مكملة لما نشره الأديب الفاضل نرجو ان يوفق آخرون لطبعها ليعمّ نفعها . وفق الله العاملين .

بغداد عباس العزاوي

---

(١) في كشف الظنون في مادة (أصول ابن اللحام) ورد بلفظ (الخزاعي) .

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد التاسع عشر

الصفحة